الأساطير الكلاسيكية والآداب الأوربية الحديثة

د. صلاح السيد عبد الحى

رئيس قسم الدراسات اليونانية واللاتينية

كلية الآداب – جامعة سوهاج

المقدمة

كانت الأساطير الكلاسيكية القديمة جزءً أصيلاً من الديانة اليونانية الرومانية ، الأمر الذى أدى لصعوبة الفصل بين الدين والأساطير ، سواء لدى اليونان أم الرومان الأقدمين ، حتى صارت الديانة أساطيراً والأساطير ديانة. ولقد اهتمت الأساطير الكلاسيكية بالحديث والشرح لأصول ونسب الآلهة الكلاسيكية القديمة ، فضلاً عن اهتمامها بالحياة الاجتماعية القديمة وكذا السياسية ، ولهذا لاقت الأساطير الاهتمام الدائم من كافة الباحثين والمتخصصين فى الكلاسيكيات بغرض الوقوف على طبيعة حياة الشعوب الكلاسيكية القديمة.

وعلى مدى عقد ونصف العقد من الزمان وأنا أتقابل كل عام مع طلاب الفرقة الأولى بالجامعة ، قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، فى الفصل الدراسى الأول، وقسمي اللغة الإنجليزية والفرنسية بكلية الآداب، فى الفصل الدراسى الثانى لتدريس مقرر الأساطير، وفى كل عام أريد أن أضيف وأزيد شيئا جديدا للطلاب ، خاصة دور الأساطير فى الآداب الأوربية، ذلك الدور والأثر الذى هو ظاهر بشكل جلى وساطع ، لكل مُطالع ومُتابع للأدب الأوربى الحديث. ولكن الوقت لم يسمح لى طوال هذا الأمد الذى استغرق قرابة الخمسة عشرة عام، حتى أتت اللحظة والوقت المقدر لهذه الإضافة ، فكان هذا الكتاب . ويجب التنوية إلى أن الكثير من المتخصصين فى الأدب الإنجليزى والفرنسى قد تحدث باقتضاب عن هذا الموضوع ، وأشار سريعاً لهذا التأثير، ولكن كل منهم لم يعطه حقه من الشرح أو التفصيل، فكان هذا الكتاب لسد هذه الثغرة، والذى اتمنى من الله أن يمد فى الأجل حتى نوفى هذا الجانب حقه من الدراسة ، من خلال نظرة المتخصص فى مجال الدراسات الكلاسيكية.

وفى هذا الكتاب الجديد ، وحتى تعم الفائدة وإلقاء الضوء على مدى أثر وتأثير الأساطير الكلاسيكية "اليونانية والرومانية" فقد اكتفيت بالحديث عن أثرها فى الأعمال الدرامية ، الرواية والقصة والمسرحية، رغم الأثر الأدبى للأسطورة على مجالات أوسع وأشمل ، من نحت وتصوير وعمارة وموسيقى، ومن ثم فقد كانت دراسة الأساطير الكلاسيكية من الأهمية بمكان من أجل فهم الأدب الإنجليزى والفرنسى والأمريكى.

ورغم امتداد أثر الأسطورة على كافة الآداب الأوربية تقريباً ، إلا أننى اكتفيت ، ولحد ما ، للحديث عن أثرها على الأدب الفرنسى والإنجليزى، ولم أتناول كل الأدباء الفرنسيين أو الأنجليز، ولكننى اكتفيت بالحديث عن أثنين أو ثلاثة فقط.

وفى الختام أتمنى أن يتقبل الله منى هذا العمل ، وأن يغفر لى ما جاء فيه من سهو أو خطأً، إذا ورد، وأتمنى منه سبحانه وتعالى أن تكون فيه فائدة للطلاب خاصة وللقارىء عامة .

د. صلاح السيد عبد الحى

القاهرة الجديدة

٢٠١٩/١/٢٠م

الأسطورة

إن الأسطورة لغة [١]هي: اسم مفرد وجمعها أساطير، وتعني الأباطيل والأحاديث العجيبة. وهي في اللغة الإنجليزية "Myth" ، من الكلمة اليونانية "Muthos " ، وجمعها "Muthoi"، والتي تعنى كلمة أو لفظ أو قصة أو قول ، وفي الجمع تكون كلمات أو ألفاظ أو أقوال أو قصص، أي أن الأساطير مجرد كلمات أو ألفاظ أو روايات منطوقة [٢].

---

١ - فى قاموس اللغة العربية: الأسطورة هى من الفعل سطر ، والسطر هو الصف في الكتاب والشجر والنخل ونحوها ، وجمعها أسطر وأسطار وأساطير وسطور ؛ والسطر هو الخط والكتابة ، والأساطير هي الأباطيل والأحاديث المنمقة التي لا نظام لها ومفردها ؛ أسطار وأسطارة وأسطورة. ولقد وردت كلمة أسطورة في القرآن الكريم في تسعة مواضع بصيغة الجمع مع الإضافة.

وفي اللغة اليونانية ، توجد الكلمة "Μυθος" Mythos ، والتى تعنى لفظ أو كلمة ومنها دخلت اللغة الإنجليزية كلمة Myth ، والتى تعني حكاية تقليدية عن الآلهة والأبطال ؛ وظهر منها فى الإنجليزية المصطلح "ميثولوجي" "Mythology" والذى يعنى "علم دراسة الأساطير".

أما كلمة الأسطورة اصطلاحاً فإنها تعنى : حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الروايات المنسوخة عن الآلهة أو القوى الغيبية والمتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة أو الجماعة العرقية ، كما أنها تفسر خلق الكون والإنسان ونشأة الموت والقرابين أو تكوين الجماعات ، و الأسطورة تعرض عالم الأفراد والأعمال البطولية. وهى ليست جزءا من العادات والتقاليد والشعائر ، ولكنها المفسر لها كما أنها تعمل على تفسير الشعائر الدينية وتأويلها.

[2] - Alexander S. Murray, Manual of Mythology; Greek and Roman , Norse and old German , Hindoo and Egyptian Mythology, 2nd ed., Asher and Co., London, 1874, p. 7.

ومصطلح أسطورة يتم إطلاقه على كل قصة أو حكاية مجهولة المنشأ ، ولها ثمة علاقة بالتراث أو الدين أو حتى الأحداث التاريخية الغابرة. وتُستخدم الأسطورة للحديث عن نشأة المجتمعات الأولى وتفسير العادات والمعتقدات الدينية والظواهر الطبيعية [٣].

عاشت الأسطورة في عقلية وقلب الإنسان اليوناني القديم ، وكل الشعوب أصحاب الحضارات القديمة، وتعايش معها ، حتى صارت لُحمة أساسية في نسيج حياته ومعتقده الديني [٤]. إذ أخذ يصورها ويستخدمه في أحاديثه العامة والخاصة ، وفي المعابد ، ورسم شخوصها على أوانيه الفخارية ، وأدخلها على أشعاره وقصصه ورواياته المسرحية، ومهما مر الزمن أو مرت الأيام، ظلت الأسطورة ملاصقة لحياة اليوناني القديم، وكذلك حياة جميع الشعوب أصحاب الحضارات القديمة. ومَنْ لم يكن بصاحب حضارة ، فلقد نقل عن الأخريين أساطيرهم ، وأضاف وغيَّرَ فيها، وأتخذ منها ضرباً ومسلكاً له في حياته.

إن الصورة المعتادة والمألوفة عن الأساطير هى تناولها لأحداث تدور حول الآلهة والكائنات البشرية الخارقة ، والأحداث الغير معتادة ، والتي لا يحكمها المنطق أو تخضع له.

---

[3]- Michelle M. Houle, Mythology; Gods and Goddesses in Greek Mythology, Enslow Publishers, Ink., USA., 2001, p. 6.

[4]- Jenny March, Cassell's Dictionary of Classical Mythology, Cassell & Co., NY., 2001, p. 9.

وأُضيفتْ الأساطير التي تطرح كيفية خروج الإنسان من صراعات الحياة اليومية ، التي يصعب التغلب عليها بالصور التقليدية، إلى مجموعة الأساطير. إذ كانت الأسطورة هي المخرج لذلك الإنسان المحاصر بالهموم والكوارث ، والذي أراد التعبير عن قُدراته في حل ما يوجهه من أزمات وصراعات في أزمنة خيالية وبطرق خرافية.

سبق القول بأن الأساطير هي الكلمات والألفاظ المنطوقة ، وأن الإنسان هو من يتحدث وينطق بها ، ويتحدث عنها، وهو من ابتكرها وأوجدها. ومن ثم فلقد كانت هناك من الأساطير ما دارتْ حول ذلك الإنسان ، الذي أُعجبَ بنفسه ، أيما إعجاب ، حتى وصفه الشاعر التراجيدي سوفوكليس " Sophocles " (٤٩٧ – ٤٠٧ ق.م) ، في مسرحيته أنتيجونى " Antigone " بقوله، على لسان كوروس المسرحية عندما كان يتحاور مع الحارس والملك كريون:

"العجائب فى الدنيا كثيرة ، وأعظمها جميعاً
الإنسان، الذى يركب المحيط ويتخذ طريقه
وسط الأعماق ، وخلال الأودية العاصفة للبحار الخطرة
الصاخبة الأمواج والهياج.
إنه سيد الأرض الأزلية، ولرغبته يخضع
أم الآلهة الخالدة بعرق جبينه،
عندما تتعاقب السنون واحدة إثر أخرى، ولا نهاية لعمله
بالبغل وبالمحراث.
إنه سلطان كل شئ حى ، طيور الهواء،

ووحوش الحقول ، وجميع مخلوقات البحر والبر.
يستخدم الدهاء ليمسك ويصيد
بخداع يديه؛
يصيد الوحوش الضارية من فوق الصخور العالية،
ويستأنس ملك الجبال فى عرينه،
ويعلّم الحصان البرى والثور المتجول
أن يحمل نيره.
لقد تعلم استعمال اللغة ، وسرعة ذكاء المخ؛
وأوجد قوانين التعايش
فى المدن ، وبنى لنفسه مسكناً يقيه المطر
وجو الشتاء.
لا شئ يستعصى على قوته ، ودهاؤه
مستعد لمقابلة كل الظروف ، وقهر جميع الأخطار ،
ما عدا الموت.
يا لدهاء الناس العجيب، الذى يجر
إلى طرق الخير أو الشر ! وتغدق الإنعامات العظيمة
والقوة لمن يحترم قوانين وطنه
وعدل السماء.
أما الذى ، يتهور بجرأة ، ويسير فى الآثام
بكبرياء ، إلى نهاية حياته،
فلن يدخل بابى مطلقاً،

ولن يدعونى صديقاً " [٥] .

هذا هو الإنســان وما فعله ، وما يفعله ، من أجل سـبر غور الحياة ، والمصـالحة بينه وبين كل ما بها ، من شـرور وآثام ، وآلام وفرح وبهجة ، وما ابتكره من ســبل و وســائل ، من أجل الســيطرة على معوقات الحياة ومُعسـراتها. وهكذا رأى اليوناني أن الحياة مليئة حقاً بالكثير من المعجزات ، ولكن الإنسان أكبر وأعظم معجزات تلك الحياة جميعها.

كانت الأسطورة من بين ما ابتكره ، ذلك الإنسـان ، من وسـائل حتى يمكنه التغلب على معوقات الحياة ، وتيســير العيش والحياة ، ومن أجل المصالحة بينه وبين ما فى الكون من أشياء وأحداث.

إن الأســطورة قديمة قدم الإنســان على هذه الأرض، وبدأت بالفعل عندما تسائل الإنسان عن ماهية خالق هذا الكون ، وعن طبيعة الخلق الأول ، وكيف تم ، وإلى أين تذهب الأرواح بعد موت أجســادها. وكانت جميعها أسئلة بدون أجوبة شافية مرضية، سواء لقلبه أو لعقله. ولقد دخل الإنسان ، نتيجة لهذه الأسئلة ، في دائرة ؛ ليس لها نهاية ؛ من القصـص والحكايات ، التى حاول بها – جاهداً - أن يفسر ما صعب عليه إيجاد الرد له.

٥- سوفوكليس : أنتيجونى؛ ترجمة: أمين سلامة: سوفوكليس ، الترجمة الكاملة عن الأصل اليونانى المقارن لأهم مسرحياته وأشهرها.- دار الفكر العربى: القاهرة.- د.ت.- ص ص ٢٥٨ - ٢٥٩ . أبيات ٣٣٢ – ٣٧٥ .

لقد اتجه الإنسان طواعية وبإرادته إلى تقديم صلوات وأدعية لقوى خافية غير مرئية ، وصاحبت الموسيقى هذه الأدعية وتلك الصلوات؛ حتى ترضى عنه هذه القوى ، وتقبل صلواته وأدعيته ، ولا تصيبه بأية ضرر [٦]. وأخذ الإنسان في عبادة وتقديس كل ما يخيفه ، أو يمكنه أن يصيبه بالضرر والأذى، وكذلك تقدم بالصلوات والأدعية، وبآيات التقديس الواجبة لأية شيء كان يحبه ، ويتمنى رضاه ، حتى يغدق عليه من نعمه وآلائه ، وعلى هذا النحو أتخذ الإنسان الأول ، ممن يخشاه ويتقى شره ، أو ممن يحبه ويتمنى رضاه ، آلهة معبودة.

إن دراسة الأسطورة لا تقل أهمية عن دراسة أى فرع من فروع الثقافة والمعرفة الإنسانية ؛ إذ وضع الإنسان تجاربه وملخص خبرته الحياتية فيما ابتكره من أساطير ؛ ومن ثم فإن الأسطورة تجمع في داخلها جميع أنشطة الحياة الدنيا، وتشتمل على أفكار ومشاعر مبتكريها.

حفظت جميع الشعوب القديمة، والشعب اليوناني من بينها، أفكارهم ومشاعرهم وتجاربهم فيما ابتكروه من أساطير، ولهذا صارت الأسطورة من المصادر التى يرجع إليها الباحثون في فهم ودراسة ومعرفة نمط حياة الشعوب القديمة .

٦- عبد الله حسن المسلمي: قراءات فى أساطير الشرق والغرب.- د.ن .- ١٩٨٧.- المقدمة، د - ز .

وانظر: سليمان مظهر: أساطير من الغرب.- دار الشروق؛ القاهرة.- ٢٠٠٠ .- ص ٥.

تجذب الأسطورة العقول والمشاعر إليها؛ وذلك لما تحتوى عليه من مادة جذابة شـــيقة، والتي تخاطب العقل أحياناً، وتتجه وتخاطب العواطف أحياناً أخرى.

إن الأسطورة ثمرة ونتاج جهد الإنسان ، ومحاولته لفهم ما حوله من ظواهر الكون الطبيعية ، ومحاولته تســمية تلك الظواهر وتجســيدها. والأسطورة أيضـاً هى محاولة من جانب الإنسـان فى فهم ماهيته ووضـعه فى هذا العالم ، ومحاولة تحديد أو إظهار العلاقة الجدلية بينه وبين ما حوله من موجودات ، أو ظواهر طبيعية [٧].

وكما جذبت الأسطورة إليها العوام من الناس، بحكاياتها وقصصـها المتباينة المختلفة، والذين يرغبون في سماعها والتسلية بأحداثها، أو لضرب واتخاذ المثال والعبرة من إحدى قصـــصـــها. فقد جذبت أيضـــاً الباحثين والمهتمين بدراسة الأسطورة ومادتها وتاريخ نشأتها ، ومكان تلك النشأة ، ولدى أي شعب ظهرت هذه الأسطورة أو تلك .

وعلى هذا النحو، فإن جميع المحاولات المبذولة لدراســة الشــعوب القديمة المختلفة ، تكون عن طريق ما ابتكرته هذه الشـعوب من أسـاطير ، ولقد حدا هذا الأمر إلى قول البعض أن الأســطورة طالما أنها جاءت قبل

٧- سليمان مظهر: المرجع السابق. ص ص ٦ – ١٠ .

التاريخ فهى نفســـها التاريخ الذى لا نصـــدقه ، فى حين أن التاريخ هو الأسطورة التى نصدقها [٨].

[٨]- عبد الله حسن المسلمي: المرجع السابق. المقدمة و - ز.

وظائف الأسطورة

هناك من الآراء النقدية والتفسيرية للأسطورة وقد اتسمت بقصر النظر وعدم فحص الأسطورة والنظر فى رمزيتها وغايتها الكبرى، خاصة وأن تلك الرؤى قد توقفت واكتفت بالنص والأحداث الروائية للأسطورية ولم تتحرك وتحاول الولوج لفحوى الرواية الأسطورية ، ومن ثم فقد انحصر نقاش هذه الروئ حول مدى منطقية الأساطير ومعقولية أحداثها من عدمه. وقد غضت هذه الرؤى الطرف عما أوجدته الأساطير من علاقة بين الماضي والحاضر وما يمكن أن نطالعه فى المستقبل ، وعلى هذا النحو فقد أوجدت الأساطير خطاً مستقيما ، أو رابطاً زمنياً يبدأ من الماضى ويمر بالحاضر ومن خلاله يمكن استشراف المستقبل. ويبدو ذلك أمراً جلياً إذا علمنا أن الأسطورة كانت محور الحياة اليومية اليونانية وأنها كانت تعمل على تفسير الظواهر الطبيعية والتغيرات الحضارية البشرية ، ونظر فيها مبتكريها على أنها التعبير المقبول عن العلاقات الاجتماعية من أنساب ومصاهرات وصداقات وعداوات عديدة ، بين بشر وآخرين ، أو بين آلهة وآلهة ، أو أنها عداوات وصراعات بين خليط من البشر والآلهة.

ورغم هذه الآراء المجحفة للأسطورة فقد رأى العديد من الباحثين أن هناك وظائف عدة للأسطورة لا يمكن تجاهلها أو نكرانها ، وذلك مثل:

* **الوظيفة المعرفية**، وتشمل تلك الوظيفة التأمل ، التفسير ، التعليل ، محاولة تبسيط الظواهر للوصول الى حقيقة ما في الحاضر وتأمين المستقبل . لقد سبقت الأسطورة الفلسفة بأمد طويل ، وقامت بدور المعلم والمربي الأول في لغة مفهومة لدى العقل البدائي ؛ خاصة وأنها كانت وسيلة للتأمل في الطبيعة وفهمها آنذاك ، ويتضح هذا الأمر بشكل جلى عند النظر فى الإنسان البدائى

الذى لم يكن قادرا على تحليل الظواهر وربط النتائج بالأسباب آنذاك، ومن ثم فقد عكس مفهومه للحياة فيما لاحظه من أحداث طبيعية كانت أو تاريخية أو اجتماعية أو دينية أو حتى سياسية فيما ابتكره من أساطير ، ولكنه عندما تطور وشب عن بدائيته وحصل على قسط بسيط من المعرفة صارت لديه القدرة على قبول ما لم يتقبله من قبل ؛ مثل فكرة موته وفنائه هو شخصيا ، ومن ثم أتت الأسطورة وعكست مدى معرفته وتطلعه ودهشته وشهوته إزاء أمور الحياة والموت والخلود.

وعلى هذا النحو يمكن القول أن الأسطورة كانت بمثابة العلم المبكر الذى يفسر الأشياء الموجودة في الطبيعة. وأنها محاولة لتفسير علوم عصر ما قبل العلوم ، لأنها تحدثنا عن علة خلق الانسان ، وعلة الظواهر الطبيعية. هذا إلى جانب أنها تفسر الاسرار الخفية وراء صفات الحيوان. ومن ثم فهي محاولة متبصرة وخيالية لتفسير الظواهر التي تثير الفضول ، كما يقول هـ. ج. روز ، وأنها أتت من أجل تفسير طبيعة الكون ومصير الانسان ، وأصول عاداته وعقائده ، والأحداث التى تمر به ، وأسماء الاماكن المقدسة والشخصيات البارزة سياسيا واجتماعيا وعسكريا ودينياً فى حياته. وعلى هذا النحو فقد كانت الأساطير هى المفتاح لفهم العالم بكونه نظاماً كونياً قابلاً للإدراك والفهم.

* **الوظيفة المنهجية البحثية** : يمكن القول إن الأولين اعتمدوا على الأسطورة وابتكروها من أجل حل مشاكلهم والمعضلات الحياتية التى تواجههم مثل مشكلة الموت والضعف البشرى . وإزاء المشكلة الأولى – الموت – فقد اضطر الأولون إلى حلها عن طريق الاعتقاد فى البعث والعودة إلى الحياة ثانية بعد الموت. بينما كان حل معضلتهم الثانية – الضعف البشرى – عن طريق اعتقادهم فى وجود قوى أكبر من الإنسان وأقوى منه ، فكانت فكرة

وجود آلهة متعددة . ولقد كان هذا فضلاً عما لعبته الأساطير من دور في تفسير الشعائر والطقوس ، والتي حاول من خلالها الأولون التغلب على عجز الانسان أمام الظواهر الطبيعية وعدم قدرته على السيطرة عليها ، ومن ثم فقد لجأ هذا الإنسان إلى استرضاء تلك الظواهر وترويضها عن طريق إقامة الطقوس وتقديم النذور لها.

وعلى إثر هذا فقد أوجدت الأسطورة نسقاً دينياً له طقوسه وشعائره ، وحوت أسراره المقدسة ، والتى تناقلها جيل عن جيل ، حتى صار للأسطورة سطوتها الدينية مع مرور الأجيال والتى رأت فى الأسطورة مقدساً واجب الحفاظ عليه كما حافظت هى على دين الأجداد. ولقد تعمد مبتكر الأسطورة على ضرورة إثارتها للعواطف الإنسانية ، حتى تحظى بقبول وموافقة مبتكريها وحافظيها على ما أتى فيها من تصوير ورسم للآلهة ، وعرض صفاتها وما تحمله اسمائها من معان ، والأكثر أهمية من ذلك كله كان هو قدرة الأسطورة على تقديم علاقات إلهية مقبولة ولا تختلف كثيراً عما يحيونه هم أنفسهم فى حياتهم البشرية التى لها نهاية محتومة على عكس حياة الآلهة الأبدية.

* **الوظيفة العقائدية الأيديولوجية:** لقد كان للأسطورة وظيفة عقائدية فكرية أيديولوجية، خاصة وأن الأسطورة بما تحويه من تصورات كان لديها القدرة على خلق أفكاراً ، والتى تتحول مع مرور الوقت إلى دستور يهتدي به الفرد في عمله اليومي والمستقبلي. وعلى هذا النسق فقد رأى البعض فى الأسطورة معتقداً دينياً. حتى أنها كانت بمثابة العقيدة ، وكما هو الشأن في جميع الأديان القديمة ، وإن لم تكن جزءاً جوهرياً من الدين القديم ، فالأسطورة ليس لها قانونا مقدسا ، ولا قوة مُلزمة للعبادة. وفى هذا الإطار يمكن إعادة القول بإن الأسطورة صارت معتقداً دينياً ومنهجاً للتفكير عوّل عليها الأولون لحل

مشكلة الموت ؛ وذلك باعتقادهم فى البعث بعد الموت ، والضعف البشري بوجود الآلهة المتعددة.

هذا إلى جانب قدرة الأسطورة على إيجاد نموذج منطقي قادر على قهر التناقض ، مثل التوفيق بين القدر المحتوم والإرادة الحرة ، وبين المنظور والغيبي ، والحي والجامد ، وبين الانسان وبقية مظاهر الحياة . وعلى هذا النحو تعمل الأسطورة على أن يحيا الإنسان في عالم مرتب ومفهوم ، وأن يتغلب على حالة الفوضى الخارجية التي تتبدى في مواجهته الأولى مع الطبيعة ، ومن ثم صارت الأسطورة كناية عن انعكاس للبنية المجتمعية ، والعلاقات المجتمعية. ومع مرور الوقت أتت الأساطير التى تمثل برنامجا للبناء الاجتماعي والذى يهدف الى تحفيز الطاقات من أجل تغيير الواقع وصد أخطار المستقبل.

* **الوظيفة التدعيمية:** والمقصود بهذه الوظيفة أن الأسطورة تعمل على دعم وترسيخ ما هو موجود، وتكفل المحافظة على السوابق التي تسوغ الحالة الراهنة، وهى بيان عملي على الايمان البدائي والحكمة الاخلاقية ، وعلى هذا النحو تسعى الأسطورة الى إرساء دعائم المعتقدات والممارسات المشكلة للتنظيم الاجتماعي لدى الشعوب البدائية. وبهذه الوظيفة فإنها لا تشبع فضولاً بل تؤكد ايماناً خاصة وأنها لا تعلل وتفسر بقدر أنها تدعم وترسِّخ.

* **الوظيفة النفسية:** ترتبط الأسطورة بالعاطفة والمشاعر أكثر من ارتباطها بالعقل ومحاورته ومن ثم فقد ارتبطت الأسطورة بالنفس البشرية ، وعملت على توضيح ما استغلق فهمه وتحديد رمزيته الشعورية ؛ كأداء الطقوس الدينية بلا وعى أو إدراك وإنما سيرا على درب السابقين ، وإن تلاوة تلك الطقوس ووضعها فى قالبها الأسطورى يضع للإنسان الفرد حداً لانفعالاته

الشعورية عند محاولته تفسيرها والبحث عن أصولها والعلة منها ، وحينئذ يمكن للإنسان أن يجد مخرجا لمشاعره المكبوتة وحيرته النفسية إزاء بعض ما يواجهه من طقوس وممارسات دينية لا تستقيم ووعيه العقلى. إن الأسطورة على هذا النحو قد صارت متنفسا نفسيا للإنسان يعبر به ليس عما يواجهه هو ذاته ولكن عما تواجه البشرية جمعاء والإنسانية برمتها ، ومن ثم يرتبط الفرد بالمجتمع بل بالإنسانية كلها ويتعاطف مع مشاكلها ويشاطرها أتراحها قبل أفراحها وسقمها ومرضها قبل شفائها وعافيتها.

* **الوظيفة السياسية:** لقد سبق واستغل الفلاسفة الأولون الأسطورة واعتمدوا عليها من أجل إخضاع الإنسان الفرد لمشيئة الدولة وعدم خروجه عليها ، وذلك كما ظهر فى فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو ، هذا رغم رفض بعض الآراء الحديثة وجود أساطير سياسية أو تتعلق بالسياسة والحكم. وإن قال البعض بإنه على مر العصور البشرية كان هناك توظيف للأساطير وربطها بالسياسة لتحقيق مكاسب سياسية ؛ ومن ثم فقد لجأ البعض عن طريق حيل سياسية إلى إيجاد صيغة متقدمة دائماً للاستفادة من الفكر الاسطوري ، لتبرير الاستبداد والاضطهاد ، ولهذا كانت الأفراد والأسر الحاكمة تتشبث بالأسطورة ؛ لأنها رأت فيها فرصة ومتنفساً كبيراً لبقاء وجودها فى الحكم وتدعيم تصرفاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ورغم كل ما كان للأسطورة من أثر وقيمة فى حياة اليونانيين إلا أن كُتّاب القرن الخامس والرابع قبل الميلاد وبخاصة الفلاسفة كان لهم شأن أخر ونظرة مُغايرة عن نظرة جميع اليونانيين نحو الأساطير وما ورد بها من أحداث خاصة بآلهتهم ؛ حيث شكك فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد فيما ورد عند هوميروس من أحداث قامت بها الآلهة وشاركت فيها ، ورأى أن

هذا لا يليق بالآلهة ، كما شكك البعض فى وجود تلك الآلهة وحذف البعض الآخر بعض الاحداث التى كانت أسطورية وجعلوا منها أحداثا تاريخية.

وبنهاية القرن الخامس قبل الميلاد بدأ التفسير العقلانى للأساطير وإعمال العقل يغزو النظرة إلى الأساطير ويتغلب على التفسير الوجدانى الذى كان سائدا فى القرون السابقة . ولقد ازداد التفسير العقلانى فى ظل الإمبراطورية الرومانية ، ذلك التفسير الذى زاد معه حالة الرفض لوجود الآلهة وللأحداث المرتبطة بها داخل الروايات الأسطورية. ولقد بدأ هذا التفسير العقلانى مع نظرات أفلاطون ومحاولة تأويله وتفسيره للأساطير ، وكذلك الأمر مع شكوك أرسطو ، وقد ازداد الشك فى الآلهة ووجودها بظهور المدارس الفلسفية كالرواقية والإبيقورية ، حيث رأت المدرسة الرواقية فى الآلهة ظاهرة فيزيائية ، فى حين رأت الإبيقورية أن الآلهة الأسطورية هى شخصيات تاريخية محاطة بهالة مقدسة ، ولكن من الممكن محوها والقضاء عليها حتى تفقد هيبتها ومكانتها المقدسة. وعند ظهور الأفلاطونية الجديدة أضفت وعززت المعانى الأخلاقية الموجودة بالأساطير وارتقت بها، وشاركتها الرواقية هذا الأمر. ولقد كان الفيلسوف والأديب الرومانى ماركوس تيرينتيوس فارو "M. TerentiosVaro" من أكثر الأدباء والفلاسفة الرومان الذين عززوا تلك القيم الأخلاقية داخل الأساطير الموروثة ، وقد تبنى نظرية الدين عامل حفاظ على الخير داخل المجتمعات الانسانية ، ومن ثم فإن الإنسان المتدين الخير يرى فى الآلهة أباء له وحارسين ولا يمكن الخوف منهم أو خشيتهم. ولهذا رأى فارو فى الآلهة ثلاثة أصناف:

١- آلهة تجسد الظواهر الطبيعية كالنار والمطر ، وهى آلهة الطبيعية.

٢- آلهة اخترعها الشعراء لتحريك العواطف وكسب رضا الجماهير، وهذه هى آلهة الشعراء.
٣- آلهة اخترعها المشرعين الحكماء لتهدئة الجماهير وتبصيرهم ، وهذه هى آلهة المدينة.

وقد تبنى فارو فى نهاية الأمر ديانة المدينة وآلهتها ، تلك التى تعمل على صيانة الشعوب وحراستها من التفكك والضياع ، وقد شاركه هذا الرأى الأديب والخطيب والفيلسوف الرومانى شيشرون "Ceceron"، والذى رفض فى كتابه "عن الطبيعة De Naturae " وجود شخص عاقل يمكن ان يصدق الفظائع والأهوال التى جاءت فى أساطير العالم الأخر "هاديس Hades" وكل ما يحيط به من أحداث مثل سكوللا "Scylla" ، كما رفض أيضاً كل فكرة تتحدث عن وجود مخلوقات مشوهة ممسوخة.

ورغم كل هذا الرفض والهجوم على الأساطير إلا أنها ظلت متقدة داخل نفوس وعقول اليونانيين ، وازداد أثرها فى فنون النحت والرسم بل والشعر أيضاً.

علم الأساطير

سبق القول والإشارة إلى مدى أهمية الأسطورة في دراسة أحوال الشعوب القديمة ، وكذلك الإشارة إلى مدى اعتماد الدارسين والباحثين عليها كمرجع هام لهم في القيام بتلك الدراسات والبحوث، في حالة ندرة المصادر والمراجع الأخرى.

ونتيجة لهذه الأهمية وهذا القدر من الاهتمام بالأسطورة ؛ فقد نشأ علم الأساطير " The Mythology " . وهو علم مثل باقى العلوم التى أوجدها الإنسان لدراسة كل ما يخص الكون والإنسان. ويقوم هذا العلم على فهم وتفسير الأسطورة ، وتوضيح مغزاها ومحاولة وضع ترتيب زمنى لظهور أسطورة ما بعد أو قبل أسطورة أخرى، ومحاولة إرجاع الأسطورة إلى جذور وأصول بعينها.

يهتم علم الأساطير ، إلى جانب تأصيل الأسطورة ، بتوضح مدى الاعتقاد بهذه الأسطورة من عدمه ، وكيف تطورت الألفاظ والكلمات إلى أسطورة وقصة ، وحكاية فرواية منقولة من جيل إلى جيل ، ومن شعب إلى أخر . ويوضح علم الأساطير العلاقة التى تربط بين الأسطورة والدين أو بين الأسطورة والمظاهر الاجتماعية ، وأيضاً بين الأسطورة والظواهر

الطبيعية. وعن طريق علم الأسـاطير تتضـح العلاقة بين بعض الأسـاطير التى ابتكرها شعب بأساطير الشعوب الأخرى [٩].

تُعد الأسطورة نتاج لخيال خصب ، رفض الرضوخ وقبول الأشياء كما هى ، فحلَّق هذا الخيال في الآفاق ، ممتطياً صهوة جواده، وسبح وجال ، وحاول أن يضـع التفاسـير التى يُرضـى بها عاطفته أو عقله . وارتبطت الأسـاطير التى ترضـى العاطفة وتخاطبها بالدين ، في حين ارتبطت الأساطير ، التي ترضى العقل وتخاطبه ، بالظواهر الطبيعية الاجتماعية.

كان ابتكار الإنسـان للأسـطورة بغرض إرضـاء عاطفته أو عقله الإنسـاني ؛ وذلك حتى يتقبل ويتعايش ذلك العقل مع ما حوله من أحداث وأشخاص ، وأمور حياتية يومية . ولقد حاول الإنسـان بابتكاره للأسطورة أن يوضح المعانى والأسباب لما وقف كحجرة عثرة أمام عقله ، فاستحدث الحكايات والروايات أو الأساطير كى يقنع بها ذاته وعاطفته وعقله.

ارتبطت الأسطورة في بداية ظهورها وابتكارها وتواجدها بالشعائر والطقوس الدينية . وكانت الأسطورة هى الشارح والمفسر لأداء طقس أو شـعيرة ما . وكان كل جيل يقوم بالتطوير وبالتجديد في أسـاطيره ؛ تبعاً لاحتياجاته ولنظرته فيما حوله، وتبعاً لرغبته في توضيح وتفسير ما صعب

---

[9]- H. Rose, A Handbook of Greek Mythology; Including its extension to Rome, Routledge; Taylor & Francis Group; London and New York, 1st ed., 1928, this edition 2005, p. 1.

فهمه من طقوس وشـعائر. ورغم ذلك التجديد والتطوير في الأسـاطير من جيل إلى أخر ومن وقت لأخر، إلا أن الطقس والشـعيرة ظلتا ثابتتين راسختين دون تغيير أو تحوير.

تدور أغلب ومعظم أسـاطير الشـعوب القديمة، واليونانية منها، في فلك الإنسـان أو الآلهة ، أو كلاهما. ودائما ما تصـور الأسـطورة ، وتلقى الضـوء على ، العلاقة الجدلية بين الآلهة والبشـر. فكل من الإنسـان والإله يصـلح أن تنسـج من حوله الأسـاطير التي توضـح ماهيته، وتقف على جدارته، وكيفية مواجهته لما يصادفه ويقابله من أحداث ومواقف في الحياة.

كان الإنسـان ، مبتكر الأسطورة ، يرى في نفسـه العامل الأخر ، أو اليد الأخرى ، في تشكيل هذا الكون وإنمائه. وأنه – أى الإنسان – رغم ما ينتظره من نهاية محتومة معلومة ؛ نهاية لا رجعة منها ثانية ، فإنه يجاهد ويصـارع قوى غيبية لا يراها ولا يعلمها ، تحاول أن تعوق أمانيه وتحجّم رغباته ، بينما هو - الإنسـان – مملوء بالأمل والرغبة فى تحقيق مأربه وغايته ، وآماله في الحياة.

ولقد رأى الإنسان الذي شغف بنسج الأساطير وذكر الحكايات ، عن ماهيته وصـراعه وكفاحه ثم مصـيره المحتوم ، أن الآلهة هي العامل الأول ، واليد الأولى في تكوين هذا الكون وتشـكيله ، وأن القوى الخفية التى تصـارعه دون أن يراها هى الآلهة المعبودة. وأن تلك الآلهة ، دائماً وأبدا ،

إلى جانبه ؛ إما لتأييده وتشـجيعه على تحقيق غرضـه ، أو لإبعاده وإحباط عمله.

أراد الإنسان الذي ابتكر الأسطورة أن يصور دائماً هذه العلاقة التى تربطه بالآلهة . هو – الإنسان - بمصيره المحتوم ونهايته المؤكدة، والآلهة الخالدة الغائبة الحاضـرة. وذكر فيما ابتكره من أسـاطير أن الآلهة فيما عدا ذلك ، فهي كالإنسـان ؛ تحب وتكره ، تفرح وتحزن وتتألم ، وتحسـد ، وتعرف الخير والشر وتفعلهما . ويؤدى هزيمة الإنسان أمام الآلهة إلى علو قدره، كبطل إنسـان ، وحصـوله على مكانة سـامية بين عالمه من البشـر ، بني الإنسان.

إن صـراع الإنسـان مع الآلهة وهزيمته أمامها في النهاية؛ تعنى له البطولة، تلك البطولة التي لا تأتى من فراغ ، ولكنه حتى يحصـل عليها وحتى يصير مثالا لعالم البشر ، وللإنسانية جمعاء، فلابد من صراعه مع قوة أكبر وأعظم منه. ولقد أدرك الإنسـان اليونـاني القديم مدى أهمية الأسطورة فى إبراز دور البطل الإنسان، ومدى حاجة الحضـارة الإنسـانية إلى إنسـان تعلق عليه أمالها فى تحقيق ذاتها و وجودها. لقد أعطى التطوير والتجديد، الذي أدخله الإنسان على الأسطورة، الرمز، ذلك الرمز الذي كان الإنسـان في أمس الحاجة إليه لتحقيق إنسـانيته و وجوده ، وشـعوره بأهميته في هذا العالم و الوجود العبثي . ولقد استطاع الإنسان بتطويره وتجديده في الأسطورة أن يتجه خطوة وخطوات نحو الحضارة وتحقيق الإنسانية.

لقد تنوعت الأساطير التي ابتكرتها الشعوب القديمة وتعددت، فكانت هناك أســـاطير خاصـــة بالكون ، وماهيته وبداية تكوينه ، وعُرِفَتْ هذه الأســـاطير باســـم الأســـاطير الكوزموجونية "Cosmogony" ، والتى كانت مدخلاً لعلم دراسة أصل وتركيب الكون عامة "Cosmology" ونشأته الأولى . وكانت هناك أســـاطير أخرى أهتمت بأصـــل الآلهة فى هذا الكون وهى الأســـــاطير الثيوجونيـا "Theogony" ، والتي أدت لظهور علم اللاهوت الثيولوجى " Theology". وكذلك كانت هناك أيضـاً أسـاطير أخرى اهتمت بإلقاء الضـوء على الأعراق ، والأصـول الأولى لبعض الشـعوب والأمم ، ممـا أدى لظهور علم الإثنولوجيـا "Ethnology"، علم دراســـــة الأعراق والأنساب.

اتسمت الأسطورة في بداية نشأتها بالفجاجة والغطرسة، والتصرفات الهوجاء، الغير محسـوبة أو معقولة، سـواء للإنسـان أو للآلهة ، إذ اتسـمت الآلهـة الســـــابقـة على آلهـة البـانثيون "Pantheon" اليونـاني - مجمع آلهـة الأولومبوس اليونانية - بكل ما هو شـائن وغير مقبول . فى حين كانت آلهة جبل الأولومبوس خطوة أو خطوات نحو الحضـــارة والإنســـانية المقبولة. ولقد دخلت أفكار وأراء جديدة على صـــورة رب الأرباب اليوناني زيوس "Zeus" نفسه ، ونادت بضرورة التطوير والتجديد والتهذيب. واختلفت تماماً

صورة زيوس فى الأساطير الأولى عن تلك التى أنشأتها العصور والأجيال التالية [١٠].

جذبت الأســـطورة بســـحرها وجاذبيتها، وجمال حبكتها ، كُتّاب المسـرح خاصــة ، والأدب عامة، هؤلاء الذين ابتكروا أعمالهم مما نسـجته عقليات الشـعوب القديمة من أسـاطير، وجسـدوا أفكار وخيالات الأسـطورة على خشبة المسرح ، بعد أن جسدوها وأعطوا لها شخوصـها على أوراقهم وبمداد أقلامهم [١١].

ولقد اختار كل كاتب ما أراد من الأســطورة، وحبك ونســج الخيوط التى تربط بين شخصيات عمله الأدبى. واستغل البعض الأسطورة القديمة

١٠- نلمح هذا التطوير وذاك التجديد في صورة زيوس فيما أورده الكاتب التراجيدي أيسخيلوس " Aeschylus " من مسرحيات. وخاصة مسرحية بروميثيوس " Prometheus " ، والتي احتوت على مراحل مختلفة لتطور صورة زيوس ، فمن طاغية مستبد برأيه ، إلى مستبد مستنير ، إلى حاكم ديمقراطي ، معتدل الرأي ، ومشارك للجميع في حكمه.

Cf., Carol Dougherty, Prometheus, Routledge: Taylor & Francis Group; London and New York, 2006, P. 72.

١١- بيارغريمال: الميتولوجيا اليونانية؛ ترجمة: هنري زغيب.- دار منشورات عويدات: بيروت - باريس .- ١٩٨٢ .- ص ص ٩ – ١٠ .

وعمل إسقاط على مجتمعه، بغرض الإصلاح أو من أجل لفت الأنظار إلى خلل ما ، قد يكون سياسي أو اجتماعي أو حتى ديني [١٢].

إن الأسطورة اليونانية القديمة بمثابة لب الأدب اليوناني خاصة، والحضارة الكلاسيكية والإنسانية عامة . وقد لا نخطئ القول بإن الأسطورة الكلاسيكية هى لب الآداب العالمية جميعها، من رواية ومسرحية أو حتى قصيدة شعرية أو قصة، وكذلك أشهر الأعمال النحتية والتصويرية ، وحتى القطع الموسيقية تأثرت جميعها بما نسجته العقلية اليونانية من أساطير [١٣].

١٢- في هذا الصدد يمكن النظر في جميع مسرحيات الشاعر الكوميدي أريستوفانيس "Aristophanes"، والتي انتقد فيها جميعها أحوال مجتمعه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الدينية.

١٣- نور ثروب فراي: الماهية والخرافة . دراسات فى الميثولوجيا الشعرية ؛ ترجمة: هيفاء هاشم ؛ مراجعة: عبد الكريم ناصف.- سلسلة دراسات نقدية عالمية (١٣): وزارة الثقافة السورية: دمشق.- ١٩٩٢.- ص ص ٣٤ –٣٦ .

الفرق بين الأسطورة والخرافة

كثيرة هي القصص والحكايات التي نسمعها أو نقرأها، ولكنها عندما تصطدم وتتعارض مع عقولنا ومنطق حياتنا، فالبعض منا ينعتها بأنها قصة أسطورة ، بينما ينعتها البعض الأخر بأنها قصة خرافية. ومن ثم فهناك ثمة خلط بين الأســـاطير والخرافات ، أو ثمة لا فرق لدى البعض بين ماهية الأســـطورة والخرافة ، فبعض الناس يمزج بينهما دون فاصـــل أو فرق واضح.

ولقد أجرى الباحثون والدارسون أبحاثهم ودراساتهم ، والتي خرجت بنتيجة مُفادها أن الخرافة دائماً تدور في فلك أخلاقي ديني، وأنها تتناول حدث واحد وفعل واحد ، في حين أن الأســـطورة تتناول مجموعة من الأحداث والأفعال ، وقد يدخل بين تلك الأحداث والأفعال إحدى الخرافات ، والتي يمكن تميزها وتحديدها.

إن الخرافة " Fable " هي: قصــة أو حكاية أخلاقية تعلمية دينية عن أفعال وأعمال أحد أبطال الأســـاطير المعروفين في عالم الأســـاطير، بينما الأســـطورة " Apologue " فهي: أعم وأشـــمل من الخرافة، وهى متعددة الأشخاص والأحداث ، وحتى أماكن وقوع هذه الأحداث تتنوع وتتباين.

وهناك معان كثيرة ومتنوعة للأسطورة ، ومنطق الأسطورة، الذي نُسِـجَتْ من أجله ، هو اللامنطق واللامعقول. وتمتلئ الأسـطورة بالخوارق

والأعاجيب التى لا تخضع لتفسير أو لمنطق، ولكنها تحدث على هذا النحو وهكذا [١٤]. وتتوالى أحداثها، والتي أحياناً تأتي وتمتزج بشـــيء من الواقع. ونستشعر نحن داخل كل هذه الأحداث من الخيالات والخوارق والأعاجيب أن هناك ثمة شئ واقعى ، وهناك ثمة تاريخ قديم بين ثنايا أحداث الأسطورة ، وثمـة واقع جغرافى واجتمـاعى ، إلا أن هـذا الواقع مع مرور الزمن والسنون قد تم تغليفه بسحابة وضباب التباعد والبَهَتَان وعدم الوضوح ، مما أفقده جديته وحقيقة أمره ، ومنطق حدوثه.

تأتي الأسطورة بعد الخرافة في الوجود والتصنيف. إذ تمثل الخرافة التفســـير الخيالي البحت ، والبعيد تماماً عن كل ما هو منطقي أو معقول " myth proper " لظواهر الطبيعة . وهى تتناول حدث واحد أو شـــخصـــية واحدة . إذ عندما وجد الإنسان نفسه أمام ظواهر طبيعية لا يعرف ما هى ، ولا يعرف كيف تحدث هذه الظواهر ، حاول أن يصل إلى شعور بالرضى والاقتناع أمام ما يثير قلقه وخوفه من ظواهر الطبيعة المحيطة به. ورغم أنه ، في هذه اللحظة ، يحاول أن يبتكر خرافة أو قصـة ، كي يُرضـــى بها عاطفته ، إلا أنه لم يسع لإيجاد تفسير يرضى به عقله حول هذه الظاهرة . ولا يعنِ ذلك الأمر ، أن الإنســـان الذي ابتكر تلك الخرافة ، كان مؤمناً أو معتقداً في تلك الخرافة ، ولكن يمكن القول، أنه قد تخيلها هكذا واقتنعت

---

[١٤]- بيارغريمال: المرجع السابق. ص ص ٦ – ٧ .

عـاطفتـه بهـا على هـذا النحو الـذي ابتكره ،ونســـج أحـداثهـا وربط بين شخوصـها.

وهناك ثمة نوع أخر من الحكايات ، غير ذلك الذي يُرضــى العاطفة ، وقد تعامل هذا النوع من الحكايات مع الأحداث التاريخية ، أو شـــبه التاريخية ، واستطاع مبتكروه وناسجوه أن يضفوا عليه من عناصر الجذب والتشــويق ما يبعده عن الملل والضـــجر. في هذا من الحكايات يتصـــرف المؤلف أو الراوي أو المنشـد بحرية ، ويُسـقط عمداً أجزاء ، وقد يضـيف أجزاء من عنده بدلاً مما حذفه أو أســـقطه، ويُطلق على هذا النوع من القصص والحكايات ، اسم الساجا " Saga " ؛ أى الأساطير التى تتعامل مع أحداث تاريخية أو شبه تاريخية.

ولقـد ابتكر اليونـاني القـديم نوع أخر من الحكـايـات ، يختلف عن ســـابقيه ، في كونـه يهتم بالتســـلية والإمتاع فقط ؛ فلا يهتم بذكر أحداث تاريخية كانت أو شبه تاريخية ، ولا يحاول وضع تفسير وتعليل ، لإرضاء عاطفته تجاه ظاهرة طبيعية ما. وفى نفس الوقت يتغافل مبتكر هذا النوع من الحكايات عقول المســـتمعين وأفكارهم فيما يتعلق بإمكانية الاحتمال أو الضـــرورة. ويمكن أن نطلق على هذا النوع الثالث من الأســـاطير اســـم " Marchen " [١٥].

---

[١٥]- إبراهيم سكر: الأساطير الإغريقية.- الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة.- ١٩٩٦.- ص ص ٦ – ٧ ، ١١.

وبناء على ما سـبق ، فينظر البعض إلى الأسـاطير الكوزموجونية، والخاصـة بخلق الكون على أنها أسـاطير من نوع الخرافات ، وكذلك الأمر بالنسبة للأساطير الثيوجونية ، والتي تتناول خلق وأصل الآلهة ، والصراع والحروب فيما بينها، وتشترك الأساطير الإثنولوجية مع النوعين السابقين ، والتي تتناول أصـل وبداية الأعراق والسـلالات البشـرية، في حين يمكن النظر إلى أسـطورة تحكيم بـاريس " Paris " [١٦] من النوع الثـاني من

Cf., Michael Grant and John Hazel, Who's Who in Classical Mythology, Routldge: Taylor & Francis Group; London and New York, 2005, P. IX.

١٦- تحدث شاعر اليونان هوميروس "Homerus" فى ملحمته الخالدة الإلياذة "Iliad"، عن حرب طروادة ، والتى دامت عشر سنوات ، بين القوات اليونانية ومدينة طروادة . وكما كتب هوميروس ، فإن سبب تلك الحرب هو إلى قصة أو أسطورة تحكيم باريس "Paris" بين الإلهات .

وأثناء زفاف الحورية ثيتيس "Thetis " إلى بيليوس " Pelus "، فقد حضر جميع الآلهة والإلهات والحوريات بدعوة خاصة من كبير الألهة زيوس " Zeus " ، والذى أغفل أو تناسى عن عمد دعوة ربة الشقاق والنزاع إيريس "Eris", فأغتاظت وأرادت الانتقام ، فقامت بإلقاء تفاحة ذهبية وسط الحفل مكتوب عليها إلى جميلة الجميلات ، واحتدم الصراع على التفاحة الذهبية بين الربات الثلاثة ؛ هيرا "Hera" زوجة الإله زيوس ، والربة أثينا " Athena " ، ربة الحكمة ابنة زيوس ، ثم كانت أفروديتي "Aphrodite " ربة الجمال . وعندما استشرن زيوس فى الأمر ، أخبرهن بأن يحتكمن إلى أول من يمر بهن من بنى البشر.

وبالفعل كان الأمير الطروادى باريس ابن برياموس أول من رأينه ، فعرضن عليه الأمر. وأخذت كل منهن تعرض عليه ما يمكن أن تحققه له إذا أصدر حكم لصالحها . فعرضت عليه الربة هيرا السلطان والحكم، فى حين عرضت عليه الربة أثينا الحكمة والعقل الراجح ، بينما

الأساطير التاريخية أو شبه التاريخية، تلك الأسطورة التي ألتقي فيها الأمير البشـــري الطروادي بـاريس بـالإلهـات ، هيرا " Hera " و أفروديتي " Aphrodite " و أثينا " Athena " ، وتم تحكيمه بينهن ، حول أي منهن أجمل من الأخرى ، وقد أصـــدر حُكمه لصـــالح الربة أفروديتي ، لأنها وعدته بتمكينه من هيلينى " Helene " ، جميلة جميلات البشر.

أما النوع الثالث ، من الحكايات والقصـــص ، فهو ما ليس بالخرافة أو الأســـطورة التاريخية . وهو موجود لدى جميع شـــعوب الحضـــارات القديمة، وقد ابتكرته هذه الشـعوب من أجل التسـرية والتسـلية في جلسـات السـمر ، واللقاءات بين الأصـدقاء والمعارف. وفيما يخص التراث اليونانى ، يرى بعض الباحثين أن أوديســـية هوميروس يمكن نســـبها وإلحاقها بهذا النوع من الأسـاطير ، التي تُروىَ بغرض الإمتاع والتسـلية، حيث ملاح أو بحار أو بطل مغوار ، يســـافر إلى بلد بعيد ويغيب فترة طويلة من الزمن

الربة أفروديتى قد وعدته بأن تمكنه من أجمل امرأة في الوجود إذا أصدر حكمه لصالحها ، فأصدر الحكم لصالح الربة أفرديتي. فكانت له هيلين أجمل امرأة فى عصرها ، زوجة الملك مينيلاوس ملك لاكيدايمون ، وشقيق الملك أجاممنون.

انظر: عبد المعطي شعراوي: أساطير إغريقية ؛ الجزء الثاني أساطير الآلهة الصغرى.- مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة.- ١٩٩٥.- ص ص ٢٣٠ – ٢٣٣.

وانظر: عبد الرحمن صدقي: ألوان من الحب .. فى الأساطير .. فى التاريخ .. فى القصص العالمى.- س كتاب الهلال ؛ ع مايو ٢٣١.- دار الهلال: القاهرة.- ١٩٧٠ .- ص ص ١٥ –٣٠ .

عن أهله وذويه ، ثم يعود مرة أخرى ، ويأخذ في رواية وســـرد كل ما صادفه وقابله أثناء اغترابه عن وطنه.

هكذا كانت الأســاطير ، وعلى هذا النحو أتت ، وبتلك الكيفية وعلى هذه الصـورة من السـرد والتوليف تم ابتكارها، والتي لا يمكن تصـديق كل ما ورد بها من قصص وأحداث، وفي نفس الوقت لا يمكن إنكارها جميعها، ولكنها في الغالب الأعم قصـص جميلة وجذابة للسـامع وللقارئ، ولمن أراد أن يُعمل عقله في الكون والوجود والإنسانية .

المدارس التفسيرية للأساطير

كان الشعب اليوناني القديم واحد من تلك الشعوب أصحاب الحضارات البشرية القديمة ، وقد سبقه لمضمار الحضارة شعوب مصر والعراق وإيران والهند والصين. وقد تنوعت وكثرت الأساطير التى ابتكرتها شعوب تلك الحضارات القديمة. وعندما وصلت هذه الأساطير إلى الباحثين والمهتمين بدراسة الحضارات، فأنهم لم ينظروا إليها نظرة العوام من الناس، من تسرية وتسلية واستمتاع بالأحداث ، والسباحة في الأفاق والأجواء الأسطورية؛ ولكنهم أخذوا يعملون عقولهم فى تفسيرها، ومحاولة إيجاد العلل أو الأسباب الأولى لابتكار تلك الأساطير. وحاولوا كذلك وضع وتحديد نسب لتك الأساطير ، وإلى أي من الشعوب القديمة ترجع هذه الأسطورة أو تلك. وأخذ هؤلاء الباحثون والدارسون كذلك في محاولة تحديد ترتيب للأساطير ، وأي منها أقدم من الأخرى ، وبعد ذلك رغب هؤلاء الباحثون والدارسون في تقسيم الأساطير إلى مجموعات متشابهة وأخرى غير متشابهة. فالأساطير التى تتشابة فى موضوعها وحبكتها وتدور فى فلك ما ، كانوا يضعونها مع بعضها البعض ، حتى جاءت الأساطير فى مجموعات كثيرة ومختلفة . ومع هذا الأختلاف والتباين بين

الأســاطير؛ انقســم العلماء والباحثين إلى مذاهب وفرق أو مدارس علمية ، كل منها لها نظرتها وتفسيرها الخاص لتلك الأساطير[١٧].

ويمكن إجمال نظرات ومناهج العلماء والباحثين حول تفسير الأساطير في ثلاث مدارس:

أ) المدرسة الأولى: وهو القول بأن الأساطير تصف حقائق تاريخية فذة.
ب) المدرسة الثانية: وهو إعتبار هذه الأساطير مجرد رموز لحقائق فلسفية دائمة.
ت) المدرســة الثالثة: أن يتم تناول الأســاطير كانعكاســات لعملية طبيعية تحدث مرة بعد أخرى وإلى الأبد.

ولقد أدت هذه المدارس الأساسية فى محاولة تفسير وفهم الأسطورة بدورها إلى وجود العديد من المذاهب والفرق والمدارس ، التي حاولت تفسير وفهم الأسطورة [١٨]، وهي:

١- النظرية الرمزية " Symbolic Theory " أو المدرســة الرمزية: ويرى مؤيدو هذه النظرية ، أن الأسطورة تخفى بداخلها رموز لأفكار دينية أو

---

[١٧]- بيار غريمال: المرجع السابق: ص ص ١٣ – ٢١ .

[١٨]- عبد المعطي شعراوي: أساطير إغريقية؛ الجزء الأول أساطير البشر.- مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة.- ١٩٩٢.- ص ص ٤١ – ٦٣ .

Cf., H. Rose, Op. Cit., P. 1 – 11.

خُلقية أو فلســفية ، إلا أنها مع الوقت وتتالى الأجيال فقدت هذه المعاني الرمزية واحتفظت بمعناها الحرفي.

٢- النظرية المجازية " Allegorical Theory " أو المدرســـة المجازية: ويرى مؤيدو هذه النظرية ، أن الأســـاطير تم نســـجها على هذا النحو لأنها كانت تحتوى على حكمة القدماء وتجربتهم أثناء حدث وموقف ما ، فلخَّصـوا تجربتهم تلك فى الحياة على هذا النحو ، خشـية من سـردها فى صـــورة مباشـــرة ، فتقع في أيدي الجهلاء من الناس، فيســـيئون استعمالها وفهمها والتعامل معها وبها.

ولقد أورد أصـحاب هذا المذهب سـبباً أخر لسـردها على هذا النحو، وقالوا أنها كانت من أجل جذب القراء والمسـتمعين إلى قراءة وسـماع تجارب السـابقين ، بدلاً من عرضـها عليهم مباشـرة فينصـرفوا عنها، ويظلوا على جهلهم. والأسـاطير ، فى رأى أصـحاب المذهب المجازي، تخفى وراءها معانى تهذيبية تعليمية عميقة.

٣- النظرية الإيوهيميرية " Euhemerism " أو مذهب إيوهيميروس: وأخذ هذا المذهب اسمه من شـخصـية الكاتب إيوهيميروس "Euhemeros" ، والذي لم يحيا كثيرا بعد الإســـكندر الأكبر "Alexander the Great". ويلتف أصـــحاب هذا المذهب حول إيوهيميروس، والذي يرى أن شـخصـيات الأسـاطير كانت في الأصـل ملوكاً من البشـر أتوا أعمالاً عظيمـة لأهلهم وذويهم ، واســـتحقوا التكريم والتبجيـل بعـد موتهم وذهابهم.

٤- النظرية الطبيعية " Theory of Nature-myths " أو المذهب الطبيعى: ويرى مؤيدو هذا المذهب ، أن اليوناني القديم لجأ إلى ابتكار الأسطورة

، كي يفسر بها ما عجز عقله عنه أن يفهمه، وعجز في إيجاد الأسباب لما يحدث فى الكون ، من ظواهر طبيعية، كالرعد والبرق والصواعق. ولَمَّا كانت هذه الظواهر تصيبه بالخوف والجزع، فقد أوجد لكل ظاهرة من تلك الظواهر إله؛ فكان هناك الإله زيوس رب الصـــواعق والبرق، و هيفايســتوس إله البراكين والنيران، و بوسـيدون إله البحر والأمواج، و هاديس إله العالم الآخر ، والذي يذهب إليه الناس بعد موتهم ، والإله أريس ، رب الحرب والنزال والخراب.

٥- النظرية النفسية " Psychological Analysis " أو المدرسة النفسية، أو مدرسة التحليل النفسي. ويرى أصحاب هذه النظرية أن الأسطورة هى انعكاس للرغبات الغريزية والانفعالات النفســية المكبوتة لدى الأفراد ولا يعترفون بها.

٦- النظرية العقلية " Rationalism " أو المدرســة العقلية: ويرى أصــحاب هذه المدرســـة أن ثمة خطأ أو ســـؤ فهم مجموعة من الناس الأقدمين لحادثة و لواقعة ما حدثت و وقعت للأجيال السـابقة عليهم، فسـجلوا هذه الواقعة على النحو الذى وصلت به إلينا.

إن هذه الكثرة من الندارس والأطر والمذاهب التفسـيرية للأسـاطير تؤكد على مدى كثرة العلماء والباحثين المهتمين بدراســة الأسـطورة ؛ وتؤكد على مدى أهمية الأسـطورة نفسـها، ذلك الاهتمام الذي ظهر منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وحتى أوائل القرن العشرين.

وقد أدت هذه الكثرة من المذاهب والمدارس التفسيرية للأساطير بدورها إلى تشتت المفسريين المحدثين ، والقراء والناظرين والمهتمين بالأساطير، وعلى ذلك يمكن الاكتفاء بتلك النقاط والخطوات التالية عند تفسير الأساطير، حاليا وفي عصورنا الآنية:

١) وتعتمد هذه الخطوة وهذا الإجراء على ضرورة فحص ومعرفة مصدر الأسطورة، مع محاولة إيجاد وتحديد تاريخ لها، وبالطبع ليس هذا من السهولة بمكان.

٢) وبعد تحديد تاريخ الأسطورة، يأتي معرفة انتمائها ونسبها، أي تحديد الشعب الذي ابتكر تلك الأسطورة . وتفيد هذه الخطوة في حالة خروج الأسطورة من لدن الشعب الذي ابتكرها إلى شعب و وطن أخر.

٣) ثم بعد ذلك تأتي خطوة تصنيف وتحديد نوع الأسطورة ؛ وعما إذا كانت أسطورة خالصة أم أنها رواية تاريخية ، أم أنها مجرد قصة خيالية.

وأخيراً تكون مرحلة وخطوة المقارنة. حيث يتم فيها مقارنة الأسطورة بمشابهتها من أساطير شعوب الحضارات القديمة الأخرى.

مصادر الأسطورة الكلاسيكية

هناك مصدران أساسيان للأسطورة الكلاسيكية ، وهى المصادر المكتوبة وغير المكتوبة . ولقد كانت النقوش والرسومات من أولى وأهم مصادر الأسطورة الكلاسيكية ؛ تلك الرسومات والنقوش التى رسمها وحفرها الرجل الكلاسيكى القديم على الزهريات والأوانى الفخارية أو على جدران المعابد. هذا فضلا عما سرده الأدباء والشعراء فى ثنايا كتاباتهم من تلك الأساطير التى تدور من حول ألهتهم وأبطالهم الأقدمين . وكانت الملاحم الأدبية والمسرحيات التراجيدية والكوميدية ، وأيضاً الأشعار الغنائية ، من أهم المصادر الأدبية التى تناولت الأساطير ودارت الأحداث من حولها.

ويمكن القول إن الاكتشافات الأثرية التى قام بها كل من شليمان النمساوى فى القرن التاسع عشر والإنجليزى إيفانز فى القرن العشرين جعلت من الأدلة الأثرية والرسومات والنقوش أهم من الكتابات الأدبية المكتوبة ، خاصة وأن الرسم والنقش كان أسبق وأقدم من الكتابة.

ولقد تناولت الأساطير النشأة الأولى للكون وذلك كما ورد بملحمتى هيسيودوس " الأعمال والأيام " والتى تتحدث عن أساطير بروميثيوس، باندورا والعصور الأربعة التى مرت بالعالم ، وكيف استأثر كرونوس بحكم العالم فى العصر الذهبى، بينما كانت باقى العصور لخليفته زيوس، ومن بعد العصر البرونزى أتى البشر الأبطال فكانت لهم سطوتهم وتضائل بوجودهم دور الآلهة. وقد أطلق البعض على ذلك العصر الذى ظهر فيه الأبطال أسم عصر الأبطال وهى المرحلة التى تسبق الكلاسيكية أو عصر ما قبل الكلاسيكية ، وفيه تخيل اليونانيون أبطالهم كشخصيات تأتى بما هو يصعب على البشر العاديين الإتيان به ، خاصة وأن

هؤلاء الأبطال أنصاف آلهة وثمرة علاقة إله مع أحد البشر ، ولكنهم غير مخلدين ومكتوب عليهم الموت والفناء. وتقدم ملحمة " الأعمال والأيام erga kai hemerai" نصائح عدة عن كيفية النجاة في وقت الأزمات التى تحيط بالبشر فى هذا العالم الذى صار مليء بالأخطار والأهوال ، وإن وجود الآلهة وتدخلاتها هى مصدر تلك الأخطار التى تحدق بالبشر فى هذا العالم ، تلك الآلهة التى كانت تعادى الانسان فى بعض الأحيان وتعمل على هزيمته وقهره .

وقد تناولت ملحمته "الثيوجونيا Theogony" ، والمعروفة باسم "أنساب الآلهة"، أصل الآلهة اليونانية وكيف ظهرت للوجود ، ومن ثم فقد تطرقت تلك الملحمة إلى الحديث عن أصل الآلهة والتيتان وأيضاً العمالقة ، وتحدثت أيضاً عن نسب تلك الآلهة والعلاقات الاجتماعية والمصاهرة فيما بينهم ، وكذا الحديث عن كل ما يمكن ذكره عن النشأة الأولى للعالم وظهور البشر . ولقد رأى البعض ترجمة " الثيوجونيا " إلى معنى " أنساب الآلهة ". ولقد كان ما سرده هوميروس فى ملحمتيه " الإلياذة The Iliad" و " الأوديسيا The Odyssey" عن أبطال اليونان الأقدمين وعلاقتهم بالآلهة مصدرا من مصادر الأسطورة ذات القيمة العالية والإضافة الأدبية الثرية فى هذا المجال. ولقد تحدث كلاهما – هوميروس "Homeros" و هيسيودوس "Hesiodos"- عن تتابع أنساب الآلهة وكيف تولى الآلهة إدارة العالم والصراع فيما بينهم من أجل حكم العالم ، حتى انتهى صراعهم إلى تولى كبير الآلهة زيوس حكم الكون والسيطرة عليه .

ولقد تطرقت الأساطير اليونانية والرومانية إلى الحديث عن تعاقب الأجناس والسلالات البشرية على الأرض والعصور التى مرت بهؤلاء البشر ، من عصر ذهبى ثم فضى ثم برونزى وأخيراً العصر الحديدى، وأثناء كل

عصر كان البشر يتسمون بسمات تختلف تمام الاختلاف عن سمات بشر العصر السابق أو اللاحق عليه ؛ من حيث القوة والجلد وأيضاً الإيمان بالآلهة وتمسكهم بدينهم أو كفرهم .

وعلى هذا النحو كانت الأساطير الكلاسيكية تزخر بالكثير من الجاذبية ، ومن ثم كانت ذات أثر بالغ فيما تلاها من عصور وتطور بشرى ؛ حيث اعتمدت الآداب الأوربية على تلك الأساطير لفترات زمنية طويلة ، امتدت منذ القدم وحتى العصر الحالى ، ولازالت الآداب الأوربية تنهل من معين التراث الأسطورى الكلاسيكي حتى هذه اللحظة.

وإلى جانب ملاحم هوميروس وهيسيودوس كانت هناك الأشعار الغنائية لكل من بنداروس "Pendaros" وباكخيليديس "Packhelides" وسيمونيديس "Symonedes"، وكذلك الأناشيد والأشعار الرعوية لكل من ثيوكريتوس "Theocretes" وبيون "Peon" فى العصر الهيللينستى، وقد ملء كل منهم أشعاره بالكثير من الأساطير التى تدور من حول الآلهة أو أحد الأبطال الأسطوريين ، أو من حول أحداث طبيعية واجتماعية أسطورية . وإلى جانب تلك الأعمال الأدبية فلا يمكن أن نغفل مسرحيات كل من أيسخيلوس "Aeschylos" وسوفوكليس "Sophocles" ويوريبيديس "eurepides"، فثلاثتهم عجّت أعمالهم المسرحية بالأساطير ، بل كانت الأساطير محور كتاباتهم. وعلى نهج الكتاب التراجيديين سار كاتب المسرح الكوميدي أريستوفانيس "Aristophanes" على هديهم واعتمد فى بعض من كوميدياته على الأساطير اليونانية ، مثل مسرحيتيه الضفادع و الزنابير.

وفى هذا المقام لا يمكن أن نغفل أو نتناسى دور كُتّاب التاريخ كمصدر من المصادر الأدبية المكتوبة التى ذكرت الأساطير فى ثنايا الأحداث

التاريخية التى ترصدها تلك الكتابات ، وذلك رغم تناقض الأساطير مع علم كالتاريخ إلا أن كُتّاب التاريخ تطرقوا للحديث عن الأساطير وذكروا البعض منها وعولوا عليها بغرض تفسير ما صعب فهمه فى صيغته التاريخية الواقعية ، أو عند وقوع حادثة تاريخية ذات مرجعية أسطورية . ولقد كان هيرودوتوس "Herodotos" وديدوروس "Didoros" من أهم كُتُّاب التاريخ اليونانى القديم الذين ذكرا أساطير فى كتابتيهما ، خاصة وأنهم جالا العالم المعروف آنذاك، ودونا ما وصل إلى أسماعهم من أساطير تخص كل شعوب الأرض التى ارتحلوا إليها وليس اليونان فقط . ويمكن القول فى هذا المقام إن كتابات هيرودوتوس قد أظهرت مدى اهتمامه بالحديث عن عادات وتقاليد الأقدمين ، وألقت الضوء على أسباب وجذور الصراع بين اليونان والشرق ، حتى وإن كانت أسباباً أسطورية ، إلا أنه حاول البحث عن الأسباب ، ومن ثم فقد استحق تسميته بأبو التاريخ.

وإلى جانب الكتابات التاريخية كانت أيضاً كتابات كل من الجغرافيين باوسانياس "Paosenias" و استرابون "Istrabon" من المصادر الأدبية المكتوبة التى ذكرت الأساطير فى سجلاتهم الجغرافية.

وعلى نهج الأدباء اليونانيين الأوائل سار كل من تلاهم فى مختلف العصور ، من حيث ذكر الأساطير فى ثنايا كتاباتهم حتى صارت تلك الكتابات مرجعاً للمهتمين والباحثين فى شئون الأساطير ، ومن أمثال هؤلاء وجدنا:

أبوللونيوس الردوى "Apollonios Rhodeos" والذى كتب ملحمة "الأرجوناوتيكا Argonautica" والمعروفة باسم "رحلة السفينة أرجو"، والتى سرد فيها الكثير من أساطير الآلهة والبشر . وكان هناك الشاعر

الموسوعى كاليماخوس القورينى "Callimachos Cyrenicos" وأيضاً إراتوستينيس "Eratosthenes" صاحب كتاب " الظواهر ".

وفى العصر الرومانى ظهر كُتّاب من أمثال أوفيديوس "Ovedios" الذى نسج ملحمة تدور حول الآلهة والبشر ، وقد بدأها بالحديث عن النشأة الأولى للكون وظهور الآلهة، وتحدث فيها أيضاً عن العصور الأربعة التى مرت بالعالم كما سبق وتناولها الشاعر الملحمى اليونانى هيسيودوس ، وقد أتى بكل هذا فى ملحمته الخالدة "الميتامورفوسيس Metamorphoses" والمعروفة باسم "مسخ الكائنات". ولقد كان هناك أيضاً الشاعر الملحمى الرومانى فيرجيليوس "Virgilios" صاحب الملحمة الرومانية الأشهر "الإنيادة Aeniad" والتى تدور حول الأحداث التالية لحرب طروادة وهزيمة الطرواديين وهروب من ظل على قيد الحياة بحثاً عن أرض أخرى ووطن أخر غير مدينتهم طروادة التى دمرها اليونانيون . وكان هناك الكاتب الرومانى المتعدد المواهب الأدبية سينيكا "Seneca"، وأيضاً فاليريوس فلاكوس "Phalerios Vlacos" وستاتيوس "Statios".

ولم يتوقف أثر الأسطورة والاهتمام بها عند شعراء وأدباء الرومان ولكن وصل الاهتمام بها حتى العصور التى تلت ظهور المسيحية والتدين بها حتى العصر البيزنطى.

وقد استطاعت تلك الكتابات الأدبية على مختلف العصور الكلاسيكية أن ترسم خطاً زمنيا لظهور وتطور عالم الأساطير ، والذى يمكن الحديث عنه بأنه خط بدأ بأساطير الخليقة والولادة الإلهية ، وهى تلك الأساطير التى اهتمت بالحديث عن ولادة الآلهة ونشأة العالم وظهور البشر ، وبعد ذلك يصل خط زمن الأساطير ويمر بأساطير الاختلاط الأولى بين الآلهة والبشر

وظهور أنصاف الآلهة من البشر ، وأخيرا يصل هذا الخط الزمنى إلى أنتاج أساطير تتناول عصر الأبطال ، وهى تلك الأساطير التى تناولت أحداث حرب طروادة ، تلك الأحداث الأسطورية التى اهتمت بالحديث عن بطولات البشر أكثر من اهتمامها ببطولات الآلهة ، حتى صار للآلهة أدوار محدودة عما كانت عليه فى الأساطير السابقة ، فجُل الاهتمام والتركيز هنا علي البشر وليس سواهم.

وفى هذا الإطار علينا ألا ننسى نظرة اليونانيين الأقدمين إلى أبطال أساطيرهم، والذين رأوا فيهم شخصيات تاريخية واقعية قامت بأحداث تاريخية وشاركت فيها ، ومن ثم فكل الأحداث التى وردت بالأساطير ما هى إلا وقائع تاريخية حدثت بالفعل ، وذلك طبقا لرؤية المدرسة التاريخية لتفسير الأساطير أو مدرسة إيوهيميروس الذى زعم بأن الشخصيات الأسطورية ما هى إلا بشر وشيوخ قبائل طيبة استحقت التأليه والتبجيل بعد وفاتهم.

أسطورة بروميثيوس

كان التيتان بروميثيوس "Prometheos" ابناً للأب لابيتس "Labetes" والأم كليمينة "Clemene"، وأخ لحامل قبة السماء على كتفية أطلس "Atlas"، وينتمى بروميثيوس إلى العمالقة المعروفون باسم التيتان ، وهم خالدون كالآلهة فلا يصيبهم الفناء والموت . وقد حكم التيتان الأرض حتى بدأت الحرب الكونية والمعروفة باسم "صراع الآلهة "، والتي دارت بين فريقين من الآلهة ، وكان الإله الشاب زيوس وأتباعه فى جانب ضد فريق والده كرونوس وأتباعه فى الجانب الأخر ، وقد نشبت الحرب بين الفريقين عندما أراد زيوس وأتباعه خلع كرونوس عن العرش وحكم العالم . وقد عضد جميع التيتان كرونوس ، ولكن بروميثيوس من بين التيتان جميعهم اتجه إلى تعضيد معسكر زيوس ؛ خاصة وأنه ، كما تروى الأساطير من حوله ، قد رأى وبفطنته وقدرته المعرفية المسبقة أن النصر سوف يكون حليفاً للشاب زيوس . وبالفعل كانت الغلبة لمعسكر زيوس على معسكر كرونوس ، وبعد تحقيق النصر ، أراد زيوس إثابة المعضدين والانتقام من المساندين لأعدائه ، فقام على الفور بالانتقام ممن ساندوا والده ضده ، وكان أول هؤلاء هم التيتان الذين أمر بنفيهم وحبسهم بالعالم المظلم في تارتاروس "Tartaros"، وبعد أن قام بتوزيع ميراث والده وعرشه على أخوته ، واختار لنفسه حكم السماء والسيطرة على الأرض ، فقد منح أخيه هاديس مملكة العالم الأخر ، العالم السفلى حيث تسكن أرواح الموتى بعض فراقها للأجساد ، بينما أخيه بوسيدون "Poseidon" صار ملكاً على عالم المياه بأنواعها، مياه عذبة ومالحة ، من مياه العيون المائية والآبار والأنهار والبحار والمحيطات.

وعندما أبصر بروميثيوس فقد جعل منه ، وبشراكة أخيه ، حاكم على الأرض، ويتبعه هو شخصياً.

كان الاسم بروميثيوس يعنى بعيد النظر أو الفطن ، وكانت لديه مقدرة خاصة على التنبؤ والمستقبل ، ومن ثم فقد اختاره زيوس بعد أن بسط سيطرته على الكون مستشارا خاصاً له وذلك لحكمته وبعد نظره واستشرافه للمستقبل.

وأثناء حكم بروميثيوس للأرض ، الخالية الآن من أى شىء ، أراد زيوس تعمير تلك الأرض بالموجودات والمخلوقات التى تتعبد للآلهة وتسير على تلك الأرض ويكثر عددها ، واسند مهمة تعمير تلك الأرض لحكامها ، بروميثيوس وأخيه إبيميثيوس "Epimetheos". ولكن الأخ الثانى أراد أن يريح أخيه الأول فطلب منه القيام بأداء تلك المهمة ، فأوجد جميع الكائنات ومنحها صفاتها ووظائفها وعندما أتى لإيجاد الإنسان لم يجد من الصفات ما يمكن أن يمنحه له ، فتتدخل بروميثيوس وأوجد هو الإنسان ومنحه صفات الآلهة ، ولكن زيوس تدخل فى هذه اللحظة وجعل الإنسان فان ، وهذا هو الفرق بين الآلهة والبشر ، فرغم تشابهما إلا أن الآلهة خالدة والبشر فانون [١٩].

---

١٩ - تلكأ بروميثيوس فى تشكيل البشر فى الوقت الذى أنجز فيه أخاه مهمة تكوين باقى المخلوقات بسرعة ، ومن ثم منح مخلوقاته كل الصفات التى كان من الممكن أن يمنحها بروميثيوس للبشر، من بُعد النظر والعدو والقدرة على المراوغة والاختباء والقوة الغاشمة ووسائل الحماية من البرد والصيف ، والطير فى السماء والسباحة فى المياه. ومن ثم منحهم بروميثيوس صفات شبيهة بصفات الآلهة مثل المهارات والمواهب المتعددة كالمعرفة وعلم الفلك ، تحديد الفصول ، وفنون العمارة والبناء ، النجارة ، وكيفية استخراج المعادن ، والأرقام والحروف الهجائية ، وعلمهم كيفية استئناس الحيوانات وركوبها ، هذا إلى جانب تعليمهم كيفية ركوب

ولقد كانت واقعة إيجاد الإنسان بداية السبيل لارتباط بروميثيوس بالبشر ، وحبه الخالص لهم ، فهو واجدهم ومن ثم كان يختلج بداخله شعور دائم بالمسئولية نحوهم ، وكان سعيد برؤيتهم وهم يتطورون يوما بعد يوم . ومن ثم منحهم النار التى يسرت عليهم حياتهم ، وعلمهم كيف يطهون طعامهم بواسطة هذه النار ، وكيف يصنعون أدواتهم وأسلحتهم.

كان بروميثيوس يشعر بالفخر والحب بنظام حكم زيوس للعالم ، فهو مثال للحكم العادل ، الذى لا يظلم أحداً ، من الآلهة أو أى مخلوق أخر ، حاكم يمنح ولا يمنع ، يعطى ولا يسال أو يطلب ، إلا أنه شيئاً فشيئاً بدأ زيوس يتحول عن العدل وإرسائه بين محكوميه ، ويتحول لحاكم طاغية مستبد شره للسلطة ، وأخذ يمنع ولا يمنح ، ويطلب ولا يعطى . ومن ثم أظهر بروميثيوس استيائه ورفضه لهذا النظام الاستبدادى ، والذى صار لا يعطي ولا يرحم ، فتمرد عليه وعلى حكمه. ونسى زيوس أمام هذا الرفض والخروج عليه كل ما قدمه له بروميثيوس من قبل ومساندة أثناء حرب الآلهة وتعميره للأرض بالمخلوقات ، فيقبض عليه ويصدر حكماً ظالماً على مساعده ونصيره بروميثيوس ، حيث أرسله مع أثنين من أتباعه إلى جبال القوقاز وأمرهم بتكبيله بقيود حديدية فى صخرة هناك ، وليس هذا فقط ، ولكنه أطلق عليه نسرا ينهش كبده فى النهار وأثناء الليل ينمو الكبد ثانية ، حتى يعاود النسر فى الصباح وينهشه ثانية .. وهكذا على الدوام .

البحر والسفر خلاله باستخدام السفن ، وأكثر أهمية من ذلك أنه منحهم مقدرة التداوي والشفاء من الأمراض .

وقد روت الأساطير الخاصة بالتيتان بروميثيوس أن زيوس قد أصدر حكمه المتغطرس هذا فى حق بروميثيوس ليس فقط لخروجه عليه ومساندته للبشر وحبه لهم على حبه لآلهة الأولمب ، وإنما يرجع هذا العذاب الدائم إلى أن الأرض جايا ، أم الإله زيوس ، قد أخبرت أبنها زيوس ، بأن أحد أبنائه سوف ينتزع العرش منه ، وأن بروميثيوس ، هو الوحيد الذى يعرف اسم هذا الابن ، ومن ثم حاول زيوس مع بروميثيوس معرفة اسم هذا الإبن ، ولكنه رفض إخباره ، حتى لا ينتقم من أحد البشر ، فهدده زيوس بالهلاك والعذاب إلا أن بروميثيوس لم يمتثل لتهديدات زيوس ، ومن ثم كان عذابه بالقيود والنسر ، وبعد فترة من العذاب عرض زيوس عليه العفو والخلاص من هذا العذاب إذا كشف له عن اسم ذلك الابن ، ولكن بروميثيوس، كان يرى أن خلاصه وخلاص الإنسان يكمن فى خلع الطاغية والتخلص منه ، ومن ثم يرفض عرض زيوس ويرتضى بالعذاب حتى يأتى ذلك الابن ويخلصه ويخلص البشرية مما تعانيه.

لقد كان لأسطورة بروميثيوس عظيم الأثر على الأدباء والكتاب من كافة العصور والشعوب ، حتى شدى بها وتأثر بها الأدباء بالشرق على حد سواء كالغرب. ففى أوربا تأثر بها كل من الألمانى جوته فكتب قصيدته بنفس الاسم بروميثيوس بين أعوام ١٧٧٢-١٧٧٤م ونشرها ١٧٨٩ م. كما تأثر بها الشاعر الإنجليزى لورد بايرون وأيضاً الفرنسى أندريه جيد ، وغيرهم من أوربا. وذلك كما أنشد بها وتغنى شعراء اليونان الأقدمون من أمثال هوميروس وهيسيودوس وبنداروس وسافو وأوفيديوس وأيسوب . ويرجع هذا تأثير تلك الأسطورة لِما انطوت عليه من معانى الوفاء والحب والتضحية

من أجل البشر عامة والإنسان اليونانى الأثينى خاصة. ومن ثم فقد استحقت هذا الصدى الواسع في التراث المعرفي الإنساني، لقد ارتضى بروميثيوس أن يلقى بنفسه فى اتون النار ويضحى بحياته كى يجلب شعلة العمل والمعرفة لبنى الإنسان ، ومن ثم فقد حملت هذه الأسطورة رمزاً ودلالة للخلاص والطوق إلى الحقيقة والمعرفة الخالصة.

وخلاصة تلك الأسطورة إلى جانب ما هو ظاهر من حبكتها اليونانية القديمة أن زيوس كبير الآلهة اليونانية قد عهد إلى بروميثيوس وأخيه إبيمثيوس بمهمة تزويد الكائنات بما يضمن لها البقاء. فأعطى إبيمثيوس البطيء الفهم كل القدرات الى الحيوان ولم يترك شيئاً لأبناء أثينا "أبناء الإنسان"، الذين لا يستطيعون أن يحصلوا على قوتهم وحماية أنفسهم.

فأشفق عليهم بروميثيوس وعلّمهم الصيد والدفاع عن أنفسهم. ثم قام بمساعدة من الربة أثينا "ربة الحكمة" ، بتعليمهم كيف يصنعون النار ويستخدمونها لصنع الأدوات للحماية وقطع الأشجار.

غير أن زيوس، لم يستحسن الأمر لأنه يرى أن الآلهة فقط هى الجديرة بامتلاك المعرفة، ومن ثم طالبهما بالتوقف وعدم أتمام ما بدآه إلا أن أثينا تعارضه وتطالب بروميثيوس بالاستمرار وتشجعه على تعليم البشر الزراعة والقراءة والكتابة والحساب. وهكذا ومع مرور الأيام كان الإنسان يتطور، ويزداد حب بروميثيوس له أكثر لأن الإنسان كان يتقدم له بالثناء كلما هاجمته الحيوانات واستطاع هو بعلمه معرفته التغلب على تلك الحيوانات الأقوى منه.

ولقد تناول الشاعر التراجيدى اليونانى أيسخيلوس تلك الأسطورة فى مسرحيته بروميثيوس مقيدا والتى كتبها عام ٤٣٠ ق.م ، فى عام ١٨٠١م تأثر بها الموسيقار العالمى بيتهوفن ولحن موسيقى بالية مخلوقات بروميثيوس. بينما كتب الشاعر الإنجليزى بيرسى بيسى شيللى [٢٠]، المولود فى بريطانيا عام ١٧٩٢ م، والذى توفى بإيطاليا عام ١٨٢٢ م ، فى عام ١٨٢٠م مسرحيته "بروميثيوس طليقاً" فى أربعة فصول ، وهى من روائع الشعر الغنائى الرومانسى. وللعلم ذكرت المصادر أن شيللى فى البداية كتب مسرحيته فى ثلاثة فصول إلا أنه أضاف إليها بعد فترة الفصل الرابع ، والذى هو بمثابة انشودة انتصار ، تمجيدا لإرادته واحتفاء بإنسانيته.

وقد قدم شيللى لمسرحيته ، والتى ترجمها إلى العربية الراحل لويس عوض ، وقال :

"الشعر يتحدى شرور العالم " أرجو أن يؤذن لي في هذا المقام بأن اعترف بأني أحمل بين جوانحي شهوة لإصلاح العالم ، على حد تعبير أحد الفلاسفة الاسكوتلنديين ، وهو تعبير لا يصدر إلا عن مثل هذا الفيلسوف. أما عن نفسي فإني أؤثر أن أزج في الجحيم مع أفلاطون ولورد بيكون ، على أن أعيش في الجنة مع بالي ومالتوس . على أنه من خطأ الرأي أن يحسب حاسب أني أكرّس انتاجي الشعري لخدمة الاصلاح الاجتماعي وحده ، أو

---

[٢٠] - كتب شيللى معظم أعماله فى إيطاليا، ومن أعماله الأخرى غير بروميثيوس طليقاً كانت مسرحياته "سنسي" و "أدوناييس" و "آلاستور" أو "روح العزلة" و "دفاعاً عن الشعر" و "ثورة الإسلام" و "انتصار الحياة".

أنـي أخال أن أنتاجي يشمل نظرية في الحياة مرتّبة مسبّبة. فأنا أمقت الشعر التعليمي مقتاً لا مزيد عليه ، لأن كل ما يمكن شرحه نثراً بنفس القدر من النجاح يكون مملاًّ وسقيماً إن هو نُظم شعراً. لقد كان غرضي الى هذه اللحظة لا يتجاوز تقريب المثل الأخلاقية العليا الى أذهان الخاصة من قراء الشعر ، وهي أذهان مصقولة . فأنا أعلم أن المبادئ الأخلاقية المجردة إن هي إلا بذور ملقاة في طريق الحياة ، تدوسها أقدام العابرين من دون وعي منهم ، ولقد كان حريّاً بهذه المبادئ أن تكون غرساً مباركاً يثمر السعادة لبني الإنسان . هي حب مهدور إلى أن يتعلم قلب الإنسان الحب ويتسع للإعجاب ويتخم بالثقة ويعتصم بالرجاء ويقوى على احتمال الخطوب".

لقد جعل شيللى من مسرحيته بروميثيوس طليقاً أيقونة مسرحية إنسانية ، خاصة وأنها تناولت إشكالية بشرية عامة ، حيث بحث الإنسان عن حريته ، والتى من أجلها والحصول عليها قد يدفع ثمناً باهظاً ، وقد دفع بروميثيوس هذا الثمن من أجل الدفاع عن الحرية الإنسانية ومحاربة الاستبداد والقهر ، لقد تحدى بروميثيوس الإله زيوس بل والآلهة اليونانية جميعها.

إن بروميثيوس عند شيللى هو ذلك الإنسان الأول الواعي بإنسانيته والساعي وراء مثله العليا ، فهو إنسان له مكانته ومكانه في الوجود. ومن ثم فهو إنسان متمرد يسعى لجعل قيم الحرية شعاراً لوجود الإنسان على وجه الأرض ، وتحديداً ضد إرادة القوى الجبارة التي كان همها تقييدَه وتكبيل رغباته وإرادته. ويمكننا القول أن مسرحية بروميثيوس طليقا للكاتب الإنجليزى شيللى تلخص فلسفته الخاصة والتى ترى أن الشر ليس عضوياً

جزءاً من الطبيعة البشرية ، ولكنه أمر عارض ، يمكن قهره والتغلب عليه ، ومن الضروري السعي لتحقيق ذلك ، وضرورة العمل على إزالة الشرور بأنواعها من الكون ، وحتى يتحقق ذلك فعلى كل فرد من البشر السعى إلى تقوية ذاته وأن يتّبع المثل العليا ، ويسير على هدي إرادته حتى يشارك فى إزالة الشر وإقصائه من الوجود تماماً .

وتكمن قيمة وأهمية تلك المسرحية فى أنها تلقى الضوء على السبق الأوربى المبكر لقيمة الإنسان وحريته وأيضاً صراعه من أجل الحصول على تلك الحرية ، حتى صار الدفاع عن الحرية الذاتية والمجتمعية جزء أصيل من النهضة الأوربية . وتبنى الغرب نظرية أن الإنسان هو مركز الكون ، تلك النظرية التى كان يعيها الفكر اليونانى القديم ومن أجلها كتب مسرحياته التراجيدية وأعماله الملحمية والشعرية .

وتأثر بها أيضاً الموسيقار الفرنسى جابريل فورية عام ١٩١٠م ولحن موسيقى أوبرا بروميثية ، وفى عام ١٩٦٨م لحن الموسيقار الإلمانى موسيقى أوبرا كارل أوف.

أسطورة هيراكليس

يمثل هيراكليس "Heracles" بداية عصر الأبطال ، أو عصر الأساطير التى تناولت سير الأبطال الذين ينتسبون لأصول إلهية ، فهو نصف إله ، لأن أبوه الإله زيوس ، كبير الآلهة ، بينما أمه كانت البشرية ألكمينى "Alcmene"، إحدى النساء البشريات ، ابنة البطل بيرسيوس "Perseos". ولقد حدى هذا النسب إلى تباين الرؤى نحو هيراكليس ، بين إيمان البعض ببشريته لأنه من البشر الفانين ؛ وذلك تبعا لما فيه من جانب بشرى ورثه عنه أمه ألكمينى، وبين إيمان البعض الأخر بإلوهيته وأنه لم يمت ؛ فهو ابن كبير الآلهة زيوس ، ومن ثم فقد صعد إلى السماء بجوار والده بوصفه إلهاً هو الأخر.

لقد اهتمت الأساطير التى دارت من حول هيراكليس بتضحيته بنفسه من أجل الأخريين من البشر. ومن ثم فقد وصفته الأساطير بالقوة الجسدية التى لا تبارى والشجاعة التى لا نظير لها. وركزت تلك الأساطير على صورته الجسدية والتى جعلت له لحية ويمسك دائماً فى يده هراوة ويضع على كتفه جلد أسد.

ولقد تناول الأدب سيرة هيراكليس الأسطورية فى مسرحية "هيراكليس" للشاعر يوريبيديس ، وفى مسرحية "التراخينيات" أو "أهل تراخيس" للشاعر سوفوكليس.

ولقد كانت مشاركة هيراكليس أبطال السفينة أرجو مهمتهم فى الذهاب إلى كولخيس ، بأقصى شرق البحر الأسود، والعودة بالفروة الذهبية لبلاد

اليونان من المهام التى سجلتها الأعمال الأدبية وسردتها ملحمة "رحلة السفينة أرجو" لشاعر العصر الهيللينستى أبوللونيوس الرودى[٢١].

ولقد قام هيراكليس بالعديد من المهام التى لا يمكن لأحد من البشر العاديين، ومن نسل أب وأم من البشر الفانيين القيام بها، وقد نسبت إليه المراجع أثنى عشر عملا خارقا ، إلى جانب المهام الأخرى الثانوية التى قام بها.

نال البطل الأسطورى اليونانى هيراكليس شهرة لا ينافسه أحد فيها ومكانة لا يستطيع أحد أن ينازعه عليها ، ولقد قاسى مرارة وآلام بُغض زوجة الأب وكراهيتها الدائمة لأبناء زوجها ؛ فكثيراً ما وضعت أمامه زوجة أبيه الصعاب وجعلته يخوض المهالك حتى اقترب الموت منه ودنى، ولماذا لا؟ وزجة أبيه هى الربة هيرا ، والتى منحته اسمها ، حتى صارت آلامه جزء أصيل مرتبط بالربة هيرا .

لقد دأبت الربة هيرا على معاداة أبناء زوجها من العشيقات والخليلات ، ودائما ما كانت تبغضهم وتحقد عليهم ، وتعمل دائما على الانتقام منهم، إذا خرجوا للحياة ولم تستطع القضاء عليهم وهم أجنة فى بطون أمهاتهم. ومن ثم فعندما لم تفلح فى القضاء على أم هيراكليس وهى تحمله فى بطنها فقد وضعت الترتيبات لتَحول بينه وبين الحياة الهادئة المستقرة. ومن ثم ترسل إليه ، فور مولده ، وهو رضيعا ، وبينما كان نائماً فى مهده ، حيتين ليقضيا

---

٢١ - مع أن أبوللونيوس الرودى من شعراء القرن الثالث قبل الميلاد إلا أنه تناول فى ملحمته "رحلة السفينة أرجو" سيرة أبطال سابقين على أبطال أوديسية هوميروس.

عليه ، ولكن الرضيع كان من القوة حتى أمسك بالحيتين بيديه وأخذ يلهو بهما ثم قتلهما خنقاً ، وعندما سمعت أمه صوته وصراخه اعتقدت أنه يبكى ويتألم فهرولت إليه ولكنها هالها منظر الحيتين وهما بيديه يلهو بهما ويلعب وهما مخنوقتين.

أعد له والده وأمه تربية جيدة جديرة بابن كبير الآلهة ؛ حيث حصل فى شبابه على تعليم جيد ومارس أثنائه جميع الفنون التى يمارسها الشباب وبخاصة فنون القتال وبجميع أسلحة الحرب. فقد لقَّنه أمفتريون ابن ألكايوس "Amphetreon Alcaeos" وحفيد بيرسيوس فن قيادة العربات ، بينما علَّمه أوتوليكوس ابن ميركورى "Autolycos Mercure" فن المصارعة، فى حين تعلم الرماية على يد يوريتوس "Euretos"، بينما كاستور "Castor" علمه كيفية المواجهة والصمود وقت الحرب والنزال. ورغم هذه التربية العنيفة التى كان يتعلمها أبناء الأثرياء والأبطال إلا أنه حصل على تعليم يهذب من روحه ويسمو بأخلاقه ؛ حيث تعلم فنون الغناء والعزف على القيثارة على يد لينوس أبن أبوللو "Lynos Apollo"، وعلمه الحكيم رادامانثوس "Radamanthos" الفضيلة والحكمة، وذلك حتى يُحسِّن أخلاقه ويرتقى بعقله ؛ خاصة بعد أن قتل معلمه لينوس ذات مرة وهو ثائر ، ولم يستطع ضبط نفسه والسيطرة على ثورة غضبه.

وبسبب قتله لمعلمة لينوس فقد أصدر عليه معلمه أمفتريون حكما بالنفى إلى الريف كى يرعى الماشية هناك ، ورغم قسوة هذا النفى إلا أنه جعل منه إنسانا مُحبا للفضاء والزراعات والغابات ، ومن ثم فلم يجد يوماً

غضاضة أو ملل فى حياة الريف والغابات. وقد كانت هذه الحياة سبباً فيما عُرِف عن هيراكليس من قوة وجرأة ، وأيضا الهراوة التى تصاحبه فى يده أينما ذهب أو حل وكذلك جلد الأسد الذى يضعه على كتفه على الدوام. والذى ذكرت الأساطير من حول هذه الواقعة أنه ذات يوم أراد أن يهش على قطيعه فلم يجد فى يده ما يهش به، ومن ثم فقد ذهب ذات يوما نحو شجرة ضخمة وجذب جزعها إلى أسفل وكسر منها أحد فروعها وجعل منه هراوة له كى يهش بها على قطيعه.

لقد أعدت الأقدار هيراكليس ومنحته الهبات الجسدية والعقلية حتى يكون معاونا للبشر فى أوقات الخطر ، ومن ثم فقد روت الأساطير أنه هو نفسه روى بأنه ذات يوما رأى حلماً في بدايات حياته ، وفى هذا الحلم فقد رأى سيدتين تقفان عند مفترق طرق ، ونادت عليه إحداهن وأخبرته بإنها ربة اللذة والسرور، أو ربة الرزيلة، ، وأنها سوف تهبه الكثير من الهبات كالترف والثراء والسعادة والأصدقاء الكثيرين ، وسوف تهبه زوجة وأولاد وبيتا سعيداً ، ووعدته بعدم مواجهة مكابد الحياة وآلامها وكل ذلك على أن يتبعها ويرافقها ، بينما نادته السيدة الأخرى وقالت له بإنها ربة الفضيلة وعليه إن يسير فى ركابها ويرافقها ، ولكن عليه أن يعلم أن رفقة الفضيلة تعنى المشقة وعدم الراحة ومعاناة مكابد الحياة ومعرفة مرارة الحزن والفراق والألم ، ولكنه فى مقابل ذلك سوف يحصل على الذكرى الطيبة بين البشر ولهث ألسنتهم بالحمد والثناء له ، وسوف يضمن خلود اسمه إلى أبد الدهر ، وبالفعل يفضل هيراكليس مصاحبة الفضيلة على اللذة ويسير برفقتها.

وبالفعل فور عودة هيراكليس من منفاه وجد أن مدينته يحاصرها الأعداء ، وبلا تردد وعلى الفور وقف إلى جوار معلمه ، ووالده بالتبنى ، أمفتريون و أخاه إيفكليس "Ephcles"، غير الشقيق، فى حربهما ، واستطاع تحقيق نصراً كبيراً على الأعداء وتحرير مدينته ، ومكافأة له فقد تم تزويجه من الفتاة ميجارا "Megara"، والتى أنجب منها أبناء صالحين وعاش مع أسرته حياة هنيئة طيبة سعيدة فترة من الوقت.

ولكن زوجة أبيه لم ترضِ عن الحياة السعيدة التى يحياها هيراكليس، ومن ثم فقد أصابته بلوثة وحالة من الجنون ، أخذ على أثرها فى تقتيل أبنائه دون أن يدرى ، وقتل أيضاً أثنين من أبناء أخيه إيفكليس، إلا أن الربة أثينا ، ربة الحكمة ، أشفقت عليه فأغرقته فى ثبات عميق حتى لا يرتكب جرائم وفظائع أخرى تضاف إلى ما ارتكبه فى حق نفسه وأخيه ، وعندما استيقظ من نومه كان قد شفى مما أصابه من جنون ، وعندما عرف ما بدر منه حزن حزنا شديداً ، ونفى نفسه طواعية وبعيدا عن الجميع حتى وصل معبد دلفى ، فركع على ركبتيه متضرعاً للآلهة وطلب المساعدة منها للتكفير عن أثمه وما ارتكبه فى حق نفسه وأخيه.

وقد استمع الرب زيوس لتضرع ابنه ، ولكنه عندما أوشك على تلبية نجواه والعفو عنه ، فقد تدخلت الربة هيرا ، وعلى الفور ، أقنعت زوجها زيوس بألا يعفو عن هيراكليس هكذا رغم أثمه ، ولكن عليه أن يضعه فى خدمة يوريثيوس "Euretheos" ملك أرجوس "Argos"، وعلى هيراكليس أن يمتثل لأوامر الملك وأن يطيعه فى كل أمر يطلبه منه . وحتى يكون هناك جزاء وعقاب بقدر العمل فقد استجاب زيوس لنصيحة زوجته. ولكن عندما أدرك مجمع الالهة ما سوف يعانيه هيراكليس جراء عداوة زوجة أبيه له وما

أقنعت به زيوس، فقد اشفق جميعهم عليه ، ومنحه كل منهم هبة من هباته التى سوف تساعده وقت الأخطار. وعلى الفور منحه أبوللو سهماً وقوساً ، ومنحه هيرميس "Hermes" سيفاً حاداً، وقدم إليه هيفايستوس "Hephaestos" حذاء من النحاس، كما قدمت له الربة أثينا خوذة ، وبوسيدون حصاناً ، ومنحه أباه زيوس درعاً. بينما زوجة أبيه لم تقدم له هو شيئاً ولكنها أسرعت إلى الملك يوريثيوس وقدمت له أثنى عشر فكرة مدمرة ، كل منها تكفى للقضاء على هيراكليس وتقتله [٢٢].

١- العمل الأول كان القضاء على أسد نيميا: عَلِمَ يوريثيوس ذت يوما أن هناك أسد كاسر فى مقاطعة نيميا يروِّع الآمنين هناك ، ولقد قضى هذا الأسد على الكثير من الناس والماشية ، وبات أهل نيميا غير قادرين على مواجهته أو القضاء عليه ، ومن ثم يأمر يوريثيوس هيراكليس بالذهاب إلي هناك وبضرورة القضاء علي ذلك الأسد ، وأن يأتى به إليه.

وبالفعل يذهب هيراكليس إلى هناك وأخذ يبحث عن ذلك الأسد فى كل مكان حتى وجده ، ويدخل معه فى صراع رهيب ، ولم تفلح

---

٢٢ - تروى بعض الأساطير أن هيراكليس هو الذى وضع نفسه بنفسه تحت إمرة ملك أرجوس يوريثيوس ، وهو الذى حكم على نفسه بخدمته لمدة أثنى عشر شهراً ، وسوف ينفذ له اثنى عشر عملا يكلفه به يوريثيوس . وكل ذلك تكفيرا عما ارتكبه من أثم أثناء لوثته وقتله أبناءه وولدي أخيه. ومن ثم وكما تروى الأساطير أن الربة هيرا وجدت فى ذلك الأمر وهذه المدة فرصتها فى الانتقام من هيراكليس عن طريق إيعازها إلى يوريثيوس بتكليفه بمهام شاقة لا يمكنه القيام بها، حتى تقضى عليه إحداها.

أسلحة هيراكليس ، من سهام وهراوة ضخمة ، فى القضاء عليه وتحقيق النصر ، ومن ثم يلقى هيراكليس بأسلحته جانباً ويهجم على الأسد بيديه الفارغتين القويتين ، وبالفعل يتمكن من الأسد ويتغلب عليه بيديه ، فيحمله على كتفه ويعود أدراجه إلى يوريثيوس الذى ارتعد فور رؤيته لهذا الأسد الضخم وهو مقتولا ومحمولا على كتف هيراكليس.

٢- العمل الثانى كان القضاء على هيدرا "ثعبان" ليرنا: وفى منطقة ليرنا كانت مغامرته الثانية ، حيث كان هناك ثعبان مرعبا ذو تسعة رؤوس ، وكلما كان هيراكليس يفصل بهراوته إحدى تلك الرؤوس كانت تنمو على الفور رأسان أخريان مكان التى فُصِلت ، وتتسم الرأس التى تتوسط الرؤوس التسع بخلودها وعدم فنائها ، وهنا أدرك هيراكليس أن جهوده سوف تذهب سدى ، ومن ثم أعمل عقله واستطاع أن يربط ذلك الثعبان الضخم ذو الرؤوس التسع فى جذع شجرة ، وأشعل من أسفل هذا الثعبان ناراً وبخاصة رؤوسه القابلة للفناء ، وبالفعل التهمت النار الرؤوس الجديدة جميعها بمجرد نموها ، ولم يتبق للثعبان غير الرأس التاسع الخالد ، وهنا يلجأ هيراكليس إلى ضرورة دفنه تحت صخرة كبيرة ، وفى دم الثعبان السام يغمس هيراكليس سهامه فتصير سامة قاتلة .

٣- العمل الثالث كان القضاء على أيل أركاديا: فى منطقة أركاديا كان هناك حيوان كاسر عجيب ، وهو وعل سريع فى جريه ذى قرون

ذهبية وحوافر برونزية لا يستطيع أحد مجابهته حتى أتى على الأخضر واليابس فى أركاديا، ومن ثم كلف يوريثيوس خادمه هيراكليس بالإسراع إلى هناك والقضاء على ذلك الوعل الكاسر. وفى البداية لم يستطع هيراكليس اللحاق به لسرعته الفائقة ، إلا أنه وبعد جهد استطاع أن يجرحه ويسيطر عليه ويكتفه بالحبال ثم يحمله على كتفيه ويعود به إلى سيده الملك يوريثيوس.

٤- العمل الرابع كان صيد الخنزير الإريمانثي: عندما نشر خنزير شرس مرعب الخوف والفزع فى ريف إريمانثوس وعاث فسادا وأتى على كل ما واجهه هناك ، عندئذ طلب يوريثيوس من هيراكليس أن يأتى له بهذا الخنزير حياً.

وبناء على رغبة يوريثيوس يتوجه هيراكليس إلى إريمانثوس للأتيان بذلك الخنزير البالغ الشراسة، وأخذ يطارده فى الجبال حيث الثلوج المتراكمة ، وبعد جهد ومشقة تمكن هيراكليس من ذلك الخنزير الشرس وأوقعه فى شبكته وحمله إلى سيده يوريثيوس.

٥- العمل الخامس كان تنظيف حظائر أوجياس ملك أوليس: كان لدى الملك أوجياس "Ogias" ملك أوليس "Olis" قطيعاً يتكون من ثلاثة آلاف ثور، ولقد ظلت حظائره لعدة سنوات بلا تنظيف حتى تراكمت فضلات قطيعه وصارت رائحة تلك الحظائر لا تطاق. وإمعانا فى إهانة البطل هيراكليس يطلب الملك يوريثيوس أن يقوم هيراكليس

بتنظيف تلك الحظائر مما بها من أوساخ وقاذورات ، وأخذ هيراكليس يمعن النظر والفكر فى كيفية تنفيذ هذا الطلب الصعب ، حيث فضلات ثلاثة آلاف ثور على مدى أعوام طوال فكيف له تنظيفها، وهنا أهداه عقله إلى سد نهري ألفيوس "Alpheos" وبينيوس "Peneos"، وجعلهما يصبان مياههما في تلك الحظائر ، وبالفعل استطاعت المياه المتدفقة أن تجرف الفضلات والقاذورات أمامها شيئاً فشيئاً حتى نظفت الحظائر تماماً، وبعد التأكد من اتمام المهمة أعاد هيراكليس النهرين إلى مجرييهما الأصليين ثانية.

٦- العمل السادس كان قتل الطيور الستمفالية: كان الإله أريس يسيطر على مجموعة طيور غريبة ، حيث كانت مخالبها وأجنحتها ومناقيرها من البرونز ، ولها القدرة على مهاجمة أعدائها بريشها الذى تستخدمه كالسهام ، وكانت هذه الطيور من أكلة لحوم البشر، ومن ثم فكثيرا ما هاجمت السفن العابرة للبحار والقوافل التجارية العابرة للطرق البرية فعاثت فسادا فى تلك المنطقة حيث البحيرة القريبة من منطقة ستمفالوس "Stimphalos" في أركاديا "Arcadea". وبسبب كثرة الشكوى من تلك الطيور يرسل يوريثيوس خادمه هيراكليس إلى هناك للقضاء عليها بعد طردها من مسكنها الذى تتحرك منه . وأخذ هيراكليس يفكر فى كيفية طردها وتحريكها بعيدا عن مسكنها حتى اهتدى إلى إصناع ضوضاء مدوية أجبرت الطيور على الخروج من

أعشاشها وطارت فى السماء ، وعندئذ أخذ هيراكليس فى تصويب سهامه ، التى منحها له أبوللو، باتجاهها ، حتى قضى عليها جميعها.

٧- العمل السابع كان القبض على الثور الكريتي الجميل: لقد سبق وأهدى الإله بوسيدون ثوراً إلى الملك مينوس "Menos" ملك جزيرة كريت ، وعندما شب هذا الثور وكبر صار ثورا ضارياً وأخذ يهاجم الجميع ، فيطلب يوريثيوس من هيراكليس أن يتوجه إلى جزيرة كريت ويقبض على ذلك الثور الضارى ، وبالفعل يفعل هيراكليس ويأتى به محمولا على كتفيه إلى يوريثيوس ويدخل به عليه ويتركه أمامه فى قصره.

٨- العمل الثامن كان القبض على خيول ديوميديس: لقد خالف الملك القاسى قلبه ديوميديس "Deomedes" الطبيعة، حيث كان له قطيع من الخيول وبدلا من إطعامها كما تُطعم الخيول وتتربى على الكلأ والمرعى فقد كان يقدم لها اللحوم البشرية كى تتغذى عليها ، وذات يوما ذهب هيراكليس إليه وقبض على قطيعه وارتحل به، إلا أن الملك ديوميديس سار من خلفه وطارده طالبا قطيعه، ومن ثم نشبت معركة ضروس بينه وبين هيراكليس انتهت بانتصار هيراكليس وموت ديوميديس، وحمل هيراكليس جثته وألقى بها إلى قطيع الخيول كطعاما لها فأكلت لحم سيدها ، ولكنها من بعد تلك الواقعة امتنعت

عن تناول لحوم البشر وعادت لطبيعتها كما هى طبيعة الخيول وأخت تتغذى على الكلأ من المراعى.

٩- العمل التاسع كان الحصول على حزام ملكة الأمازونيات: فى آسيا الصغرى كانت تعيش مجموعة من النساء تعتمد على الحرب فى حياتها ، وتتخذ من القوس سلاحا فى حروبها. وكانت تحكمهم ملكة شابة منهم تدعى هيبوليتى "Hibulete". وكانت هذه الملكة قد حصلت من قبل على حزام "زنار" هدية من إله الحرب أريس "Ares"، وصلت شهرته الأفاق حتى سمعت به أبنة الملك يوريثيوس وأرادت أن تمتلكه، فطلبت من أبيها أن يأمر خادمه هيراكليس بالحصول على هذا الحزام من أجلها. وبالفعل يتوجه هيراكليس بناء على أمر سيده إلى آسيا الصغرى حيث تسكن الأمازونيات المحاربات. وتستقبله الملكة هيبوليتي بالترحاب ، ووعدته بأن تهدي إليه حزامها . وأثناء ضيافته هناك تتخذ الربة هيرا صورة إحدى المحاربات وتُعزى إلى الأخريات أن هرقل سوف يأخذ ملكتهن أسيرة ، ومن ثم يهاجمنه ، إلا أن هيراكليس يعتقد ان الملكة هيبوليتى قد خانته فيهاجمها ويقتلها ويحصل على حزامها ويعود به إلى سيده يوريثيوس.

١٠- العمل العاشر كان القبض على ثيران جيريون: فى جزيرة إروثيا "Irothea" كان يعيش جيريون "Gereon" مع قطعان ماشيته الكثيرة ، وكان يتسم جيريون بضخامة جثته وقوة بنيانه، فهو عملاق ذو ثلاثة رؤوس ، وكان يساعده فى حراسة قطيعه عملاق أخر اسمه

يوروتيون "Euroteon" وكلب ذو رأسين. ولقد طلب يوريثيوس من هيراكليس أن يأتى له بقطعان جيريون. وظل هيراكليس يبحث عن جزيرة إروثيا تلك بجميع أنحاء أوربا، وعندما طاف بأنحاء عديدة ، وحتى يعرف مدى تقدمه فى البحث وضع جبلين شاهقين كأعمدة وعلامة عن مكان بحثه وبدايته ، وقد عُرِفت تلك الأعمدة فيما بعد باسم أعمدة هيراكليس ، وهى المعروفة حاليا باسم جبل طارق. وبسبب ارتفاع درجة حرارة تلك المنطقة فقد صوب هيراكليس سهامه نحو الشمس ، وقد أعجب إله الشمس بجرأته ، فأعطاه قارباً من الذهب ، يقود نفسه تلقائياً إلى حيث جزيرة إروثيا المنشودة. وعندما وصل إليها فقد استطاع قتل جيريون ويوروتيون والكلب، وحمل على قاربه السحرى قطيع الثيران وعاد إلى بلاده وأعاد القارب ثانية إلى إله الشمس.

١١- العمل الحادي عشر كان إحضار تفاحات الهسبيريديات الذهبية: كان الطلب الحادى عشر الذى طلبه يوريثيوس من هيراكليس أن يقوم به هو أن يأتى له بتفاحات الهيسبيريدس "Hesperides" الذهبية المقدسة. ومن المعلوم لدى اليونانيين كافة أن هناك شجرة تثمر تفاح ذهبيا مقدسا، وكان يحرس تلك الشجرة تنين لا يمكن جرحه ، وهو دائم اليقظة ، ولا يسمح لأي فرد أن يمر أو يقترب من تلك الشجرة . وكان هيراكليس يعلم بكل ذلك ويعرف أن التيتان أطلس الذي يحمل السماء فوق كتفيه يقيم بالقرب من الحديقة التي بها شجرة

التفاح الذهبى المقدس. وكان يعلم أيضاً أن بنات أطلس والمعروفات باسم هسبيريديس ، أنهن يرقصن على الدوام حول تلك الشجرة . ومن ثم وضع هيراكليس خطته للحصول على تلك التفاحات على التيتان أطلس وبناته ، وبالفعل يبحث عن مكان أطلس ، حتى يعثر عليه ويطلب منه أن يذهب معه ويقطف له بعضاً من ذلك التفاح، ويوافقه أطلس شريطة أن يحمل عنه ثقل السماء حتى يأتى له بما يطلبه . ويوافق هيراكليس هو الآخر ويحمل السماء، وسرعان ما يذهب أطلس ويعود حاملا بيديه عدة تفاحات ذهبية ، إلا وأنه قد شعر بحريته فى الحركة والتخلص من عبأ حمل السماء فقد رفض أن يحمل ثانية حمله القديم الثقيل. وزعم بإنه سوف يذهب إلى يوريثيوس بالتفاحات بدلا من هيراكليس وليبقى هيراكليس حاملا السماء بدلا منه للأبد. ويتظاهر هيراكليس بالموافقة إلا أنه يطلب من أطلس مساعدته فى وضع الحمل على كتفه بشكل مريح، وعلى أطلس أن يحمل هذا الحمل لحظة واحدة حتى يضع جلد الأسد كوسادة فوق ظهره ، ولم يشتبه أطلس بوجود خدعة ، ووافق وحمل السماء ثانية ، وما إن استقرت على كتفيه حتى خطف هراكليس التفاحات الذهبية من يديه وودعه مبتسماً وعاد هو أدراجه بالتفاحات إلى سيده يوريثيوس .

١٢- العمل الثاني عشر كان إحضار الكلب كيربيريوس: فى العقيدة اليونانية يوجد هناك على بوابة العالم الأخر كلب بثلاثة رؤوس ، وظيفته أن يمنع خروج أرواح العالم الأخر لعالم البشر، وأن يمنع

دخول أحد البشر الأحياء إلى عالم الموتى. وقد طلب الملك يوريثيوس من هيراكليس أن يأتى له بهذا الكلب. وبالفعل يذهب هيراكليس ويرحب به هاديس ، إله العالم الأخر، ويلبى له مطلبه شريطة ألا يستخدم أسلحته فى حصوله على الكلب، وبالفعل يمتثل هيراكليس ويدخل فى صراع مع الكلب من أجل السيطرة عليه وبدون أسلحة، حتى استطاع أخيرا أن يتمكن منه ويحمله معه على كتفه ، ويذهب به إلى يوريثيوس كى يفحصه فقط ثم يعيده ثانية للعالم الأخر.

ولم تتوقف سيرة هيراكليس عند هذا الحد ، ولكن روت الأساطير أن الجنون قد أصابه ثانية وقتل أحد أصدقائه ، وحتى يكفر عن ذنبه وما ارتكبه من جريمة قتل فقد وضع نفسه وبإرادته فى خدمة الملكة أومفالى "Omphale" لمدة ثلاث سنوات. وقد أمعنت هذه الملكة فى إذلال هيراكليس حتى أنها أجبرته على ارتداء ثياب النساء، ويقوم بغزل الصوف بينما ارتدت هى جلد الأسد بدلا منه ، ذلك الجلد الذى كان سمة خاصة به.

وقد روت الأساطير الخاصة بهيراكليس أيضاً أنه هو الذى خلص بروميثيوس من آلامه عندما قتل ذلك النسر الذى اعتاد صباح كل يوم أن ينهش فى كبده. وقد أشفق هيراكليس على بروميثيوس لأن الأخير كانت له الكثير من المواقف الطيبة فى حق البشر ، وكذلك الأمر مع هيراكليس فهو المدافع عن البشر والمضحى بنفسه من أجلهم.

ورغم كل تلك البطولات التى حققها هيراكليس على مخلوقات شتى بشرية كانت أو حيوانية ، ذات صلة بالآلهة أو وحوش مشوهة إلا أنه كان مُقدر له أن يموت على أيدى زوجته.

فقد تزوج هيراكليس من امرأة بارعة الجمال تدعى ديانيرا "Dianera" ، ابنة أوينويس "Oeneos" وشقيقة ملياجر "Mileager"، وذات يوم وهو يسير معها بالطريق ، فإذ بهما يجدا نهراً يقطع عليهما طريقهما ، وكان هذا النهر يصعب اجتيازه ، وإن لم يكن صعباً على هيراكليس القيام بالأمر بمفرده ، وفى هذا النهر كان هناك المخلوق القنطورى نيسوس "Nesos" يقوم بنقل البشر من ضفة النهر إلى الضفة الأخرى مقابل أجر، ولما كانت ديانيرا يصعب عليها عبور النهر فقد طلب زوجها هيراكليس من القنطور نيسوس أن يحملها على كتفيه ويعبر بها النهر. ولكن القنطور قد أعجبه جمال ديانيرا وسيطر على عقله وهو يحملها عابراً بها النهر، ومن ثم أراد الاستئثار بها لنفسه ، فتوجه بها إلى مغارته بدلا من السير بها لضفة النهر الأخرى ، وعندما أبصره هيراكليس يفعل هذا فقد شد قوسه وأطلق عليه سهما من سهامه القاتله ، ولقد كان القنطور نيسوس من الفطنة بمكان والروح التواقة للانتقام ، حتى أنه همس فى أذن ديانيرا وهو يلفظ أنفاسه الأخيره ، بأن دمه يمكنه إعادة حب هيراكليس إذا توجه لأخرى، ومن ثم يمكنها الاحتفاظ بقطرات من دمه وتستخدمها إذا تحول قلبه عنها لأخرى. وبالفعل تحتفظ ديانيرا ببعض من دم القنطور نيسوس فى زجاجة وتضعها بخزانة ملابسها.

وذات يوما لاحظت ديانيرا اهتمام زوجها هيراكليس بإحدى أسيراته فاشتعلت نيران الغيرة بقلبها واعتقدت أن قلب زوجها قد تحول عنها إلى أسيرته ، فتذكرت التعويذة السحرية ودم القنطور نيسوس الذى لديه القدرة على الاحتفاظ بحب زوجها ، وعلى الفور وضعت البعض من دماء القنطور على ثوب من ثياب هيراكليس ، ولكنها وقعت فى فخ الخديعة والانتقام ، حيث أن هذا الدم ما هو إلا سم زعاف يهرى الجلد واللحم فور ملاصقته له ، ومن ثم فعندما ارتدى هيراكليس هذا الثوب انتشر السم بأنحاء جسده ، وأطبق الثوب على جسده ، فأخذ لحمه وجلده يتساقط ، وعبثاً حاول هيراكليس انتزاع الثوب فلم يفلح ، وأدرك أن الموت قادم لا مفر منه ، ومن ثم صعد إلى قمة جبل وجمع كومة أخشاب جنائزية وتمدد عليها وطلب من أبنه أن يشعل بها النيران حتى يتخلص من آلام السم الذى يهرى جسده. وبالفعل مات هيراكليس بعد أن عمل طوال حياته على خدمة البشر فى كل مكان وأينما ذهب أو حل.

وتروى الأساطير الخاصة بالبطل هيراكليس أنه وأثناء اشتعال نيران كومته الجنائزية قد أشفق عليه والده زيوس، ومن فقد خطفه إلى السماء حيث مقر آلهة الأولمبوس ، وهناك استطاع أن يعقد صلحا بينه وبين الربة هيرا التى توافق على الصلح وتزوجه من ابنتها هيبى "Hebe".

ولقد كان هيراكليس ينتمى إلى ذلك الجيل الذى صارع من أجل بلاد اليونان وجلب الطمأنينة والسلام، هذا الجيل الذى سرد قصته أبوللونيوس الرودى فى ملحمة "الأرجوناوتيكا" أو "رحلة السفينة أرجو".

وبين جيل السفينة أرجو وأبطال حرب طروادة كان هناك جيل أرتكب كم من الفظائع التي يندى لها الجبين وذلك من أجل السلطة والحكم، ولقد تمثل ذلك فيما أوردته الأساطير ونسجته من حول الأخوين أتريوس "Atreos" وثييستيس "Theistes" فى مملكة أرجوس "Argos". وذلك كما هو حال السلطة والحكم فى مدينة طيبة اليونانية. حيث سرد الأولون الكثير من الأساطير حول مؤسس طيبة ونسله من بعده، وماذا فعلت السلطة بنسل كادموس "Cadmos" ومرورا بالملك لايوس "Laios" وحتى أبنه أوديب "Oidipos" وأبنائه من بعده. ولقد منحت الأساطير التى دارت من حول أوديب الخلود، تلك التى تحدثت عن قتله لوالده بدون علم ثم زواجه من أمه دون أن يعرف أنها أمه، وأنجب منها أربعة أبناء " ولدين وبنتين"، وعندما فقأ عينه وهجر طيبة ورافقته إحدى ابنتيه، فقد تصارع ولديه على حكم طيبة حتى قتل كل منهما الأخر.

ومن بعد جيل أوائل الأبطال أنصاف الآلهة ثم جيل السفينة أرجو ثم جيل الأساطير المملوءة بفظائع الأحداث وارتكاب الآثام سواء فى أرجوس أم طيبة يأتى جيل حرب طروادة. تلك الحرب التى دارت رحاها بين اليونانيين من جهة والطرواديين من جهة أخرى، وكانت الموضوعات الرئيسة بالملحمة هى ربة الشقاق إريس "Ires" والتفاحة الذهبية ثم تحكيم باريس "Pares" وخطفه هيلينى "Helene" ثم التضحية بالفتاة العذراء إفيجينيا "Ephiginea" من أجل إبحار أسطول اليونانيين نحو طروادة واسترداد هيلينى ثانية ، أحداث الحرب وغضب البطل اليونانى أخيليوس "Achileos" من قائد الجيش أجاممنون "Agamemnon" الذى سلبه محظيته واتخذها لنفسها. وفى الحرب نجد مشاركات للآلهة والإلهات وانقسامهم وتأييدهم لجانب على أخر. وفى نهاية الحرب يتمكن أخيليوس من قتل البطل الطروادى

هيكتور "Hector" وفى المقابل يتمكن أخيه باريس من قتل أخيليوس ، ثم يضع أوديسيوس البطل اليونانى خطة للقضاء على طروادة ونهاية تلك الحرب، فبمشاركة من الربة أثينا يتم صنع حصان خشبيا مجوفا ويدخل فى بطنه مجموعة من الأبطال اليونانيين ، وأثناء المناوشات الحربية بين الجانبين والتى استمرت لعشر سنوات حتى الآن، يتصنع اليونانيون الهزيمة والفرار من أمام أعدائهم ، ويتركوا من خلفهم الأسلاب والغنائم التى يفرح الطرواديون بجمعها ويدخلونها إلى داخل أسوار مدينتهم ، وقد اعتقدوا أنهم حققوا نصرا غاليا على اليونانيون، فيقيموا احتفالا عظيما داخل أسوار مدينتهم المنيعة ، وأثناء الليل يخرج الأبطال اليونانيون المختبئون بجوف الحصان ويفتحوا الأبواب لزملائهم ، الذين لولا هذه الخديعة ما استطاعوا الولوج عبر أسوار وأبواب مدينة طيبة على الإطلاق، فيدخلون المدينة ويحرقونها ويقتلون الرجال والأطفال ويستعبدون النساء ويسرقون خيرات وكنوز المدينة جميعها.